الإنساني 48

هايتي:
أزمة إنسانية حية
بفضل الإعلام البديل

قوة الأيدي الناعمة

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع | العدد الثامن والأربعون | ربيع 2010

كاريكاتور

الكاريكاتور: **عبد الرحيم ياسر** [العراق]

تكريما لهن

مشت سوسن عبر الهضاب مدة أربعة أيام تحمل على ذراعها الأيمن زهراء ابنة السنتين، وتمسك بيدها اليسرى رفاه ابنة الأربع سنوات، ويتبعهن أحمد بسنواته الست. كل ما كان يجول في خاطر سوسن هو إنقاذ أولادها وإيصالهم إلى برّ الأمان.

سوسن، كغيرها من النساء اللواتي عشن تجربة الحرب والنزوح والخوف أو أي ظروف قاسية أخرى، كافحت لتعيش حياة كريمة فأدت دور الأم والأب واستخدمت كل ما تملك من قوة وعزيمة لكي تثبت أنها موجودة وأن من حقها أن تعامل بمساواة.

هذا المجهود ليس بغريب على المرأة بشكل عام، ولا على النساء في مجتمعنا بشكل خاص. فقد اعتدنا رؤيتهن عبر التاريخ وفي كل المضامير يتركن بصماتهن على حياة عائلاتهن ومحيطهن حتى قال إمبراطور فرنسا نابليون بونابرت أن "وراء كل رجل عظيم امرأة". لكن النساء لم يعدن اليوم يكتفين بالوقوف في الكواليس، وما تسعى إليه المرأة وما حققته في السنوات الماضية شكلت خطوات كبيرة في طريق عملها وخروجها إلى النور لتبين أنها كانت ومازالت تؤدي دورا اجتماعيا لا يقل عن دور الرجل لناحية إنتاجيته وأهميته.

لكن ينبغي أن تقرن هذه الجهود بدعم من المجتمع والمؤسسات العاملة في المجالات ذات العلاقة من أجل تعزيز دور المرأة وما وصلت إليه. كذلك لا ينبغي أن ننسى أهمية العمل من أجل حماية النساء اللواتي يعشن في مناطق النزاعات حيث غالبا ما تضطرها الظروف إلى أداء دور مزدوج بغياب الزوج أو الأب، وتجد نفسها مسؤولة عن حماية حياتها وعائلتها من الخطر وإعالة أولادها والاهتمام بهم كما هي حال آلاف النساء اليوم في العراق والسودان ودول أخرى.

تكريما للنساء وبمناسبة اليوم العالمي للمرأة، يكرس هذا العدد من مجلة الإنساني ملفه الأساسي للحديث عن ما حققته المرأة من إنجازات ترقى بها لأعلى مستويات العطاء الثقافي والفكري في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وتتناول بعض المقابلات والمقالات واقع المرأة وما قامت به من أجل الوصول إلى حقوقها الأساسية وبعض ما بقي من خطوات لتثبيت دورها ومكانتها في المجتمع.

ومن زاوية العطاء أيضا، وتذكيرًا بالدور الذي يقوم به العاملون في المجال الإنساني، يحتفي هذا العدد باليوم العالمي للصليب الأحمر والهلال الأحمر الذي يوافق الثامن من أيار/مايو من كل عام، عبر عرض مجموعة من الشهادات لمتطوعين بالجمعيات الوطنية في المنطقة، يتحدثون من خلالها عن تجربتهم مع التطوع وعما يدفعهم لتكريس وقتهم لإنقاذ ومساعدة الآخرين في مختلف أوقات النزاعات والكوارث، وما تركته من أثر إيجابي على حياتهم وشخصياتهم.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير **هشام حسن**
مدير التحرير **زينب غصن**
المستشار القانوني **د. عامر الزمالي**
مستشار التحرير **محمد بن أحمد**

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس :25281566
البريد الإلكتروني: csc.cai@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

اللجنة الدولية للصليب الأحمر
منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

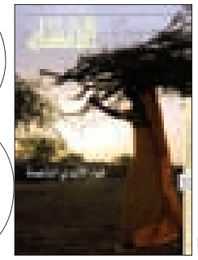

AFP

نازحات سودانيات ينقلن أغصانًا لتامين التدفئة لعائلاتهن في مخيم للنازحين في شرق تشاد يضم أكثر من عشرين ألف نازحًا بسبب الوضع القائم في دارفور وتشاد.
أ.ف.ب

48
ربيع 2010

جنود مجهولون في خدمة الإنسانية 05

غوتييه إلى الحرية بعد 147 يوما ..... صالح الدباكة 10

برامج الدعم النفسي لأطفال غزة والضفة الغربية ..... جيروم غريمو 12

الملف: قوة الأيدي الناعمة 13

المرأة والنزوح: قوة العزيمة عند الشّدة 14

تحفظات مازالت تعيق تطبيق السيداو ..... آمال عبد الهادي 16

التمييز ضد النساء يرافقهن إلى السجون ..... بديعة الكوطيط 20

نساء العراق أو القصة الكاملة للحرب ..... كارولين دورليه–سابوبا 23

عن شذى وكوثر اللتين بددتا عتمة اليأس ..... سمية علي الحسيني 26

نساء يتحدين القيود 27

البلابل: فرقة نسائية ما زالت تطرب السودانيين بعد 40 عاما ..... صالح الدباكة 40

التقرير العربي الخامس حول تطبيق القانون الدولي الإنساني ..... خالد غازي 43

هايتي: أزمة إنسانية حية بفضل الإعلام البديل ..... زينب غصن 45

بورتريه: عم صلاح..حامل الأخبار ..... ز.غ. 49

الباوباب: شجرة تدور حولها الحياة ..... محمد الأمين النحاس 50

بلا رتوش: الزمن قبل عشرين عاما ..... زينب غصن 52

شعر: القيود الغالية ..... فدوى طوقان 54

أركان العالم 55

إصدارات 58

جنود مجهولون في خدمة الإنسانية

التطوع هو أحد أشكال التكافل الاجتماعي الذي تطور على مر التاريخ ليتخذ اليوم أشكالا أكثر تعقيدا وتنظيما. ويشكل عشرات الملايين من المتطوعين من كل أنحاء العالم عماد العمل الاجتماعي للجمعيات الأهلية كما أنه عماد الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر التي تحتفل بيومها العالمي في 8 أيار/ مايو من كل عام. هؤلاء الجنود المجهولون قليلا ما يتحدثون عن أنفسهم فالوقت بالنسبة إليهم ينبغي أن يكون للعمل... العمل على مساعدة الآخرين في محنهم ورفع الأذى عنهم ودعمهم. بمناسبة اليوم العالمي للحركة الدولية تفتح "الانساني" بعض صفحاتها لخمسة متطوعين من جمعيات وطنية عربية يتحدثون عن الأسباب التي دفعتهم نحو هذا الطريق وما اكتسبوه على المستويين الشخصي والإنساني، من تجارب بعضها غير حياتهم بل ونظرتهم للحياة. ...

ICRC

محمد منصور:
هذه حياتي

سمر القاضي*

يقول هامسا باسما وهو يحملق في الضوء الآتي من الشرفة التي أمامه: «**جئت إليه، وتشبثت به**» ويستطرد: «**إنني متشبث به مدى الحياة، الصليب الأحمر هو حياتي**».

يبلغ **محمد منصور** – وكنيته «**فريسكو**»– 25 عاما، وهو طويل القامة، متين البنية، متواضع وهادئ. وهو واحد من 6000 متطوع يشكلون القوة الدافعة وراء واحدة من أنشط الجمعيات الوطنية التي تلقى الكثير من الاحترام، هي جمعية الصليب الأحمر اللبناني.

بدأت تجربته مع الحركة عندما تطوع منذ نحو خمس سنوات في قسم الشباب في الصليب الأحمر اللبناني وهو لا يزال طالبا في الجامعة. يتذكر **محمد** قائلا: «**جاء قسم الشباب إلى الجامعة التي أدرس بها لعقد دورة عن التطوع، وهكذا التحقت به**».

بعد مضي عام على التحاقه، تلقى **محمد منصور** في عام 2007 تدريبا على الإسعافات الأولية، كما أصبح عضوا في خدمات الطوارئ الطبية التابعة للصليب الأحمر اللبناني، مما يعني أنه كان يقضي ليلة بأكملها أسبوعيا على الأقل في الخدمة، بالإضافة إلى قضاء إجازة نهاية الأسبوع مرة في الشهر.

بعد نوباته الليلية في موقع خدمات الطوارئ الطبية في بيروت، كان على **محمد** أن يجد القوة اللازمة للذهاب إلى عمله في صباح اليوم التالي، تاركا خلفه الإجهاد الذي يشعر به.

محمد حاصل على درجة البكالوريوس في علم أحياء الحيوان، ويسعى في الوقت الحالي للحصول على درجة أعلى في مجال الوساطة والمفاوضات في حل النزاعات.

وإلى جانب دراسته، يظل الشاب **محمد** عضوا ملتزما في كل من قسم الشباب وخدمات الطوارئ الطبية، بالإضافة إلى عمله لدى الصليب الأحمر البلجيكي كمدرب وناشر للمعايير والقيم الإنسانية.

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

لا يحبذ **محمد** استخدام كلمة «متطوع»، ويقول «**نحن لسنا متطوعين، بل إننا نفعل الواجب، فمن واجبنا مساعدة كل من يحتاج إلى المساعدة، هذا هو التزامنا، وهذا هو شعارنا في الصليب الأحمر اللبناني: «أبعد من الواجب»**».

الواجب هو ما جعل **محمد** يختار العمل مع الصليب الأحمر البلجيكي، إحدى مكونات الحركة الدولية، بدلا من البحث عن أي وظيفة تجارية أخرى، يمكنه الحصول منها على مال أكثر كما يقول.

يقول **محمد**: «**ليس بالضرورة أن يجلب المال السعادة، ولكن الإيمان يجلبها، وأنا مؤمن بشدة بأن حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر تساهم في جعل العالم أفضل لأولادنا وأحفادنا**».

يقوم **محمد** بتدريب بعض الأعضاء في قسم الشباب في الصليب الأحمر اللبناني وتعريفهم بالوسائل والأدوات التي تمكنهم من نشر المعايير الإنسانية بين مجموعة مستهدفة تتراوح أعمارها ما بين الثمانية والثمانية عشر عاما.

بدأ مشروع نشر المعايير الإنسانية الذي يعمل فيه **محمد** والذي يموله الصليب الأحمر البلجيكي في تموز/ يوليو 2009، ومن المتوقع أن يستمر حتى نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2010، وربما يجري تمديده.

كان **محمد** - بالإضافة إلى ثلاثة مدربين آخرين – قد حصل على تدريب مكثف على القانون الدولي الإنساني والمعايير الإنسانية قبل أن يصبح مدربا. يقول موضحا: «**ليس من السهل جذب انتباه هذه المرحلة العمرية (من 8 إلى 18) إلى أمور تتسم بالحساسية مثل المعايير الإنسانية وقواعد الحرب أثناء النزاعات المسلحة. ولهذا فإنه مشروع فريد وهام، فهو يتجاوز المحاضرات والمؤتمرات التقليدية ويقدم مدخلا ملموسا وأكثر حيوية لقانون الحرب ولقيم الحركة الدولية ككل**».

يتكون هذا المشروع الجديد لتعليم القانون من مجموعة كبيرة مشوقة من الألعاب ولعب الأدوار والمحاكاة. يقول **محمد**: «**رأينا كيف ساعد التفاعل الذي يتضمنه المشروع على الاقتناع بالقانون الدولي الإنساني حتى بين أولئك الذين لم يكونوا مقتنعين به، ذلك لأنهم يستخلصون النتائج بأنفسهم، ويتعلمون الدروس الخاصة بهم من مختلف الأدوار التي يقومون بها، وليس من خلال تلقي الوعظ النظري عنها. إنهم يتعلمون من خلال هذه الألعاب أن الحرب لابد أن يكون لها حدود، وأن القيم الإنسانية لابد أن تحترم، وإلا سيفوق الألم طاقة الاحتمال وسيكون الثمن المدفوع باهظا**».

يشرح **محمد** بحماس أمثلة من الألعاب التي تستخدم لأغراض التدريب، فيقول: «**من بين الألعاب هناك لعبة اسمها «الهروب»، وهي تركز بالأساس على حقوق اللاجئين. يقوم المشاركون فيها بدور اللاجئين، وتكون لهم هويات وجوازات سفر جديدة. يجري تقسيمهم إلى عائلات ونطلب منهم الانتقال من مكان إلى آخر، مرورا بجميع المشقات التي يمر بها اللاجئون**».

ثم ينتقل إلى شرح لعبة أخرى فيقول: «**أما هذه اللعبة فيطلق عليها اسم «ريد كروس»، وفيها يلعب كل مشارك دورا معينا مثل شخص مدني أو موظف الصليب الأحمر أو جندي أو قائد عسكري...إلخ، ونحاول أن يقوم المشاركون بأدوار جميع المنخرطين في النزاع المسلح، وذلك ليشعروا حقا بشعور الجندي، أو المدني أو المحتجز الواقعين تحت التهديد... فإذا أصبحوا ذات يوم في موقع المسؤولية أو تبوأوا مناصب معينة، يمكنهم تذكر الألم الذي يعانيه ضحايا النزاعات المسلحة**».

وبفضل العمل الذي يقوم به **محمد** وفريقه، أمكن للوسائل والأدوات التي وفرها مشروع «نشر المعايير الإنسانية» من الوصول إلى نحو 34 مركزا للشباب في جميع أنحاء لبنان تعمل تحت إشراف اللجان المحلية للصليب الأحمر اللبناني البالغ عددها اثنتين وثلاثين لجنة. وسوف يقوم شباب المتطوعين، بدورهم، باستخدام هذه الأدوات لمحاولة غرس القيم الإنسانية في روح قادة المستقبل ■

يوسف النقي:
عرفت قيمة ما أملك

حاولت خلال السنوات الأربع الأخيرة أن أجرب أسلوبا جديدا للحياة، حياة العمل التطوعي في الهلال الأحمر الكويتي. بدأت تجربتي معه في صيف العام 2006؛ كنت قد تخرجت لتوي من الجامعة وأريد أن أضع طاقتي في برنامج تطوعي لأتمكن من مساعدة الناس. كان عملي في بداية الأمر يجري في معظمه على المستوى المحلي، كزيارة المستشفيات مع زملائي، أو حضور المناسبات المختلفة لتقديم الإسعافات الأولية والمساعدات الأساسية للجمهور العام، وفي الوقت نفسه نشر الوعي بأهداف جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في مختلف أنحاء العالم.

ثم شنت إسرائيل عدوانها على لبنان يوم 12 تموز/ يوليو 2006 وفقد على إثرها عدد كبير من المدنيين أرواحهم. وصلت أخبار الحرب إلى متطوعي جمعية الهلال الأحمر الكويتي، وكانت هناك حاجة لمتطوعين للذهاب إلى لبنان من أجل إيصال مساعدات إغاثة إلى السكان.

كانت هذه فرصتي للتطوع لكنني ترددت كثيرا في بادئ الأمر، فأنا لم أتخيل يوما أن أذهب إلى منطقة حرب لمساعدة السكان. لم •••

محمد الناصر:
عمل يملأ فراغ القلب

يكن لدي علم بما يمكن توقعه، ولا ما الذي ينتظرني هناك. احتجت إلى بعض الوقت لأتخذ قراري بالتطوع والذهاب إلى لبنان. وأخيرا وجدت الفرصة عندما كان يجري إعداد قافلة المعونات الرابعة المزمع إيصالها إلى الصليب الأحمر اللبناني.

تناولنا إفطارا سريعا ثم بدأنا رحلتنا في الصباح الباكر بعد ما كنا قد قضينا ليلتنا في مسجد بالقرب من الحدود الكويتية السعودية. استغرقت الرحلة ثلاثة أيام على طريق وعر يبدأ من المملكة السعودية ويمر عبر الأردن وسوريا. لم أغفُ سوى للحظات قليلة خلال الرحلة، إذ ظلت عيناي تحملقان في الطبيعة القاحلة، وظللت أراقب أسلوب الحياة البسيطة التي يحياها البدو الرحل الذين كنا نمر بهم. فهم يعيشون في بيوت بسيطة مع عدد قليل من الماشية توفر لهم اللبن والطعام. توقفنا أكثر من مرة عند عدد من هذه المنازل لشراء بعض (اللبن) لرحلتنا. فرأيت الكثير من الفقر حيث يعيش الناس في أماكن صغيرة تؤويهم على بعد بضعة أميال من المدن الأقرب لهم. راعني أن الفقر والفقراء موجودون في كل مكان حولنا، ولكن العالم لا يفعل سوى القليل لمساعدتهم. علمت بعدها من قائد القافلة أنه لن يكون بوسعنا دخول لبنان بسبب اشتداد الهجمات الإسرائيلية على العربات الذاهبة إلى لبنان. وعوضا عن الذهاب إلى لبنان فإننا سوف نقابل الصليب الأحمر اللبناني على الحدود ونسلمه مواد الإغاثة. بعد سبعة أيام قضينا ثلاثة منها على الطريق وأربعة في سوريا، استطعنا أخيرا تدبير أمرنا باللحاق بطائرة بضاعة تابعة للقوات الجوية الكويتية كانت قد حملت إمدادات طبية نيابة عن جمعية الهلال الأحمر الكويتي. انتابني شعور بالارتياح لعودتي إلى بلدي عندما وصلت إلى الكويت.

وتعجبت بشدة لأن الرحلة التي استغرقت أسبوعا مع الهلال الأحمر غيرت نظرتي للأمور تماما. كنت قد اعتدت أن أتعامل مع الأشياء كأمر مسلم به، ولم أكن أشعر بقيمة الكثير مما يتوفر لي في حياتي قبل ذلك اليوم، فالأمور عندي كانت تخضع إلى حد كبير لما «أرغبه»، أما بالنسبة للآخرين فهذه الأمور نفسها هي حاجات حقيقية من أجل البقاء ■

مرت عليّ أيام كنت أشعر فيها أن حياتي تعيسة. لكن بعد أن تعرفت من خلال دراساتي المتعددة مع الأمم المتحدة عن الإيدز على أشخاص مصابين بالفيروس ومتعايشين معه، وجدت أن الحياة ستصبح أتعس بالنسبة لنا جميعا إذا لم نحاول مساعدة المستضعفين. ذلك صوت كان يراودني منذ الطفولة وكنت أستمع إليه بتأن لأعرف كيف أقدم المساعدة لمحتاج.

لم تكن مساعدة هذه الفئة بأكثر من النصيحة والسؤال عنهم، فهم برأيي لا يحتاجون سوى للدعم النفسي ولإزالة الوصمة ضدهم للسير في المجرى المناسب في جدول الحياة.

في العام 2008 وجدت أبواب **جمعية الهلال الأحمر الأردني** مفتوحة لاستقبالهم كمستضعفين في هذا الكون حيث إنه لا توجد في الأردن جمعية لاحتوائهم. وهو ما دفعني إلى التردد لزيارة الهلال الأحمر والمتعايشين مرارًا حتى انتخبوني مستشارا قانونيا متطوعا للمجموعة والتي تسمى «مجموعة الأمل».

وكان ذلك مدخلًا لي للتعرف إلى الجمعية التي اقتنعت تمامًا بإنسانية تعاملها مع فئات المجتمع ككل. لم أكن أعلم أن لذة مساعدة الآخر وروعة أن تزرع ابتسامة في نفس إنسان تفوق لذة مساعدة النفس إلى أن تذوقتها بالعمل مع واقع المجتمع من خلال جمعية الهلال الأحمر. فقد كان لهذه الجمعية الوطنية فضل كبير للوصول للفئات المستضعفة وإلقاء شباك المساعدة لهم وإدماجهم في المجتمع بعد أن كانوا عناصر مهمشة. ووجدت أن هذا العمل يفوق أهميةً البحث عن المال أو ما شابهه.

فالعمل التطوعي يزيد من معرفة الإنسان في كيفية التعامل مع الحياة والتي لا بد أنها من أصعب الدروس تعقيدًا، بالإضافة إلى تبادل الخبرات مع أعداد كبيرة من الناس.

ومازلت حين أشعر بأن سبل الحياة تضيق بي أسرع لأرى من هم بحاجة للمساعدة وأبذل أقصى جهدي بالعمل التطوعي النابع من القلب والذي يمكنه أن يملأ أي زاوية فارغة في أنفسنا ■

ICRC

نوح صالح الحمادي:
أن تكون سعيدًا وتنشر السعادة

كيف بدأ التطوع في حياتي؟ في الواقع مر التطوع في حياتي بمراحل عدة أولها عندما كنت طفلا، والفضل في ذلك يعود إلى والدي الذي عودني وإخوتي على خدمة الآخرين بكونه قدوة لنا. فقد وعينا على الدنيا وكنا نراه يسعى في خدمة المحتاجين من الأقارب والأباعد الذين نعرفهم أو لا نعرفهم. وكان أيضا يقوم على خدمة المساجد وروادها وخدمة حجاج بيت الله في مواسم الحج بحكم أن مدينتنا، مدينة **السلع**، تقع على طريق الحجاج إلى **مكة المكرمة**. وعندما كبرت كبر معي معنى التطوع رغم أنني لم أكن عضوًا متطوعا في أي جمعية إنسانية بعد.

دخلت مرحلة جديدة مع معنى التطوع عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية. ذات يوم كنت أمشي عائدًا إلى شقتي يكسو التعب ملامح وجهي، سمعت صوت رجل يناديني قائلا: «**ابتسم يا أخي وارفع رأسك**» كررها مرتين... فالتفت إليه وإذا به رجل يبدو عليه الفقر بثيابه الرثة لا أعرفه ولا يعرفني فلماذا كلمني؟ صحيح أنه رفع معنوياتي وأذهب عني الحزن الذي كان ينتابني بسبب نتيجتي السيئة في الامتحان... كانت كلماته بسيطة لكن لها أثر كبير علي. كيف لرجل يمشي وينام في الشارع أن يكون سعيدا وينشر السعادة على غيره من الأغراب؟!!

هذا الموقف أثر في كثيرا وبدأت أحدث نفسي بأن هذا الرجل لم يكن ملزما بأن يكلمني ويبث فيَّ روحا إيجابية كادت أن تختفي... لماذا بادر وتطوع بالكلمة الطيبة؟ لأنه بكل بساطة يؤمن بفعل الخير حتى ولو كان صغيرا في الظاهر. من هنا بدأت فكرة التطوع تعظم في خاطري أكثر من ذي قبل. وبدا لي أن خدمة الناس والمجتمع ليست أمرا هامشيا أبدًا...

وبعد سنوات عدت إلى أرض الوطن فقررت الالتحاق بهيئة الهلال الأحمر الإماراتي.

أولى مشاركاتي التطوعية كانت في العام 2003 من خلال حملة توزيع أضاحي العيد ثم حملة جمع التبرعات للإخوة العراقيين المتضررين في حرب العراق. ثم تعددت مشاركاتي في معسكرات تطوعية تدريبية محليًا داخل الدولة بالإضافة إلى دورات في الدعم النفسي والإسعاف المجتمعي وبعد اجتيازي العديد من الدورات التي أهلتني للعمل التطوعي الإغاثي رشحني مدير إدارة المتطوعين للاشتراك في المعسكر الدولي التدريبي للهلال الأحمر والصليب الأحمر في الجمهورية العربية السورية وكان ذلك في صيف العام 2006. وعند عودتنا إلى الإمارات تم اختياري ضمن فريق إغاثة الإخوة اللاجئين والمتضررين في حرب لبنان عام 2006 برئاسة مدير إدارة المتطوعين.

لم يكن الأمر سهلًا أن أوافق على الانضمام إلى فريق إغاثة يقوم بعمله والحرب ما زالت مشتعلة.. قضينا ثلاثة أسابيع بين معسكرات اللاجئين والنازحين في سوريا ولبنان. كنا نستيقظ في الصباح الباكر لنباشر العمل بالتعاون مع منظمات الإغاثة الأخرى والتنسيق مع سفارتي دولة الإمارات في دمشق وبيروت ونقوم بزيارات ميدانية إلى مخيمات اللاجئين للنظر في ما يمكن توفيره لهم من احتياجات ومتطلبات كالطعام والأدوية والملابس والبطانيات ولا نعود إلى مسكننا إلاّ في آخر الليل...

كذلك كنت مؤخرا من ضمن فريق إغاثة المتضررين من زلزال هايتي ومكثت في ذلك البلد المنكوب ستة أيام مع فريق يتكون من أربعة أشخاص تعلمنا خلالها الكثير وعلى رأسها الصبر والتفاني والاعتماد على النفس في إدارة شؤوننا وأيقنا أن الإنسان لم يخلق للراحة وإنما للكد والعمل. كنا نشعر بالتعب الشديد آخر الليل ولكن هذا التعب كان يتلاشى عندما نتذكر ما قمنا به طوال اليوم من خدمة الأطفال والنساء والشيوخ اللاجئين الهاربين من الموت. كم كانت تعني لنا ابتسامة رسمناها على وجه الطفل الميتّم بألعاب أهديناها إليه أو فرحة المرأة المريضة عندما حصلت على دوائها، وكم كان ينعشنا دعاؤهم لنا واحترامهم وتقديرهم لتواجدنا بجوارهم حبًا فيهم لا رجاء مقابلٍ مادي أو مصلحة شخصية سوى الأجر من الله وكرامة الإنسان.

هذه الابتسامات التي رأيتها على وجوه اللاجئين أعادت إلي ذكرى ذلك الموقف الذي حصل لي في الولايات المتحدة والذي رسم الابتسامة على قلبي قبل وجهي، وتذكرت قول **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**».

إن العمل التطوعي يعطيك إحساسا جميلا لا يقدر بمال ولا يوصف بمقال. فهو يشفي العليل من علّته ويسمو بالقلب إلى شرفته ويكفّر الذنوب ويستر العيوب... التطوع ينشر الأخوّة ويزيد القوة قوّة ويرضي طموحك، وسُموّه يريك أن الدنيا لا تساوي شيئًا إذا لم يكن فيها إخوانٌ تعينهم ويعينونك، ترحمهم ويرحمونك ■

في يوم 22 تشرين الأول/أكتوبر 2009 اختُطف **غوتييه لوفيفر** وهو بطريق عودته إلى مدينة **الجنينة** بعد زيارة ميدانية برفقة موظفين آخرين للجنة الدولية غرب دارفور. حدث ذلك قبل خمسة أيام من انتهاء مهمته في السودان. عن تلك المفارقة يقول **غوتييه**: **«الحقيقة أنني رضيت بذلك بسرعة وتوقفت عن التفكير في المسألة خلال أيام قليلة. إنها مسألة كان علي أن أنساها لأقي نفسي. وكانت تلك طريقتي في حماية نفسي من الآلام والاكتئاب كل يوم. وقد ساعدني ذلك على أن أجد بعض التوازن في حياتي خلال فترة اختطافي وساعدني على التفكير في ما هو قادم... يوم الفرج.»** ويتحدث **غوتييه** عن مكان احتجازه فيصفه **«بالمكان الذي لا يملؤه إلا الفراغ؛ السماء من فوقي والسهول والهضاب من حولي»**. لكنه لم يفقد الأمل في زملائه في اللجنة الدولية وبأنهم سيعملون جاهدين على إطلاق سراحه. يقول **غوتييه** **«كنت أعلم أن زملائي في اللجنة الدولية لن ينسوني. وأنهم يبذلون كل ما في وسعهم من أجل الإفراج عني. كنت أفكر في محبة أهلي وزوجتي الرائعة، الذين كانوا يترقبون عودتي وينتظرون الإفراج عني»**. مع ذلك، تبقى فترة 147 يوما فترة طويلة وهو وحيد في مكان مهجور. **«كان عندي قطعة من الورق المقوى التي كنت أكتب عليها أقوالا مأثورة تساعدني. والأهم من ذلك كله هو الصمود طيلة النهار حتى الليل. فكنت أفكر بأسلوب إيجابي؛ كل يوم يمر هو يوم يحذف من فترة أسري ويقربني من يوم الفرج. وحتى الليل كان أحسن من النهار. كان الليل أكثر سكونًا وهدوءًا وخاليًا من الذباب. أما الأيام فكانت ساخنة ومرهقة لا سيما من الناحية النفسية. وكان أزيز الذباب مدويًا طيلة النهار ولم أكن أظن قبل ذلك أنني سأتحمل هذا الكم الكبير منه. كنت أنام في سبات عميق لكنني كنت أشعر بإرهاق نفسي شديد»**. هذا الوضع تغير مع مرور الوقت. يقول **غوتييه** **«خلال الشهر الأخير من احتجازي بدأت أرى قطعانا من الغنم والإبل وأفرادا آخرين من عائلات الخاطفين والأطفال الرعاة. سمحوا لي بالمشي أوقاتا أطول وكنت أحلب الغنم والإبل من حين لآخر. وأحدث وجود الأطفال الرعاة تغييرا إيجابيا في حياتي لأنني كنت دائما برفقة الحراس المسلحين. كانوا يأتونني بالحليب كل يوم ويسمحون لي بالمشي فترات طويلة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات»**.

تجربة **غوتييه** هذه لم تولد لديه أي شعور بالضغينة نحو دارفور وأهلها أو العمل الإنساني بصفة عامة. يقول **غوتييه** **«قضيت خمسة أشهر في الاحتجاز وسأعود قريبا إلى بيتي وأستريح وأزيد وزنا قليلا ثم استأنف حياتي وعملي. أغادر هذا المكان دون ضغينة. وأحس أن الضحايا الحقيقيين مازالوا في دارفور ولا أريد أن يتذكر الناس فقط الأشهر الخمسة الماضية (الاحتجاز). فخلال الأشهر السبعة عشر التي أمضيتها في دارفور قبل ذلك، نفذ فريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الجنينة عددا من المشاريع الناجحة في غرب دارفور وسط بيئة صعبة للغاية لم تشهد إلا عددا قليلا من الحوادث الأمنية. وهكذا أريد أن يتذكرني الناس كأحد أفراد فريق اللجنة الدولية»**. ولم ينس **غوتييه** التعبير عن خالص شكره **«لكل زملائي في اللجنة الدولية الذين كدوا من أجل إطلاق سراحي وكل الذين أعربوا عن تضامنهم وأرسلوا خطابات مشجعة. وأعرب أيضا عن امتناني لكل ممثلي الحكومة والسلطات السودانية الذين عملوا جاهدين على إطلاق سراحي»** ■

ICRC

شهد العام الماضي اختطاف اثنين من موظفي اللجنة الدولية في إفريقيا هما غوتييه لوفيفر الذي اختطف في 22 تشرين الأول/أكتوبر 2009 على بُعد بضعة كيلومترات شمالي الجنينة غرب دارفور، و«لوران موريس»، الذي اختُطف في شرق تشاد يوم 9 تشرين الثاني /نوفمبر ثم أفرج عنه في السودان بعد 89 يوما. غير أن فترة احتجاز غوتييه دامت 147 يوما وهي أطول فترة اختطاف عاشها عاملون في المجال الإنساني في دارفور، قبل أن يطلق سراحه يوم 18 آذار/مارس 2010.

حاوره: **صالح الدباكة***

غوتييه إلى الحرية بعد 147 يوما:

أغادر هذا المكان دون ضغينة فالضحايا الحقيقيون مازالوا هناك

* مسؤول الاعلام في بعثة اللجنة الدولية في الخرطوم

ICRC

ندوب النفس أشد من ندوب الجسد

Jerome Grimaud / ICRC

«تعلمنا أن نصغي لبعضنا البعض وأن نشد أزر بعضنا البعض في مواجهة المشكلات» هو لسان حال كل من **رامي** و**جميلة** و**محمد** و**سوسن**. فبعد حضورهم ورشة عمل تعقد أسبوعيا في مقر مركز الصحة النفسية التابع للهلال الأحمر الفلسطيني في منطقة **جباليا** في قطاع **غزة**، ظهرت الابتسامة على وجوههم. هم كانوا منذ عام مضى من بين آلاف الأطفال الذين فقدوا توازنهم وعاشوا في رعب أثناء الحرب على غزة.

وقد أفادت عديد من التقارير في الأسابيع التي أعقبت العملية العسكرية على غزة في العام 2009 عن انتشار أعراض تدل على وجود اضطرابات نفسية بين السكان منها الأرق والكوابيس واضطرابات في الشهية أو نشاط مفرط وحساسية مفرطة والتبول اللاإرادي أثناء النوم والعدوانية. وهو ما دفع عددا من المنظمات الإنسانية إلى التركيز على تأمين الدعم النفسي للأطفال والعائلات في كل من **غزة** و**الضفة الغربية**.

يتلقى حاليا نحو مائة ألف طفل وخمسين

جيروم غريمو*

ألف شخص (آباء وأشقاء وجيرانا ومعلمين وأفرادا من المجتمع) دعما نفسيا في **الضفة الغربية** و**غزة**، وذلك من خلال خمسة مراكز للصحة النفسية و134 مدرسة تنفذ البرنامج في أكثر المناطق ضعفا في الأراضي الفلسطينية. ويتلقى القسم النفسي التابع للهلال الأحمر الفلسطيني دعما من تجمع دولي لتقديم المساعدات يضم كلا من جمعيات الصليب الأحمر الإيطالي والفرنسي والأيسلندي والدانمركي، وأيضا المكتب الإنساني للاتحاد الأوروبي.

يقول **نضال أبو دقة** المسؤول عن أحد المراكز النفسية الأربعة التابعة للهلال الأحمر الفلسطيني في قطاع غزة: **«اختفت الأعراض التي كنا نراها بين معظم الأطفال الذين تلقوا الدعم النفسي»**. وتضيف **إيمان عليّان** الاختصاصية النفسية الاجتماعية المشرفة على ورش العمل المخصصة للأطفال: **«يقول الآباء أن سلوك أبنائهم تغير للأفضل، فالأطفال الذين اعتادوا الانسحاب والعزلة عادوا للعب مع إخوتهم وأخواتهم، وبدأ السلوك العدواني بالانحسار»**.

تساهم أنشطة المركز في تعزيز قدرة كل من الأطفال وآبائهم على الاستجابة للشدائد والتطلع إلى المستقبل. ويتبادل المشاركون رواياتهم، فيعبرون عن تجاربهم ومشاعرهم ويبنون علاقات تقوم على الثقة والسماحة.

لكن لا تزال هناك تحديات كبيرة تحتاج للتذليل. يقول **عاطف العسولي** المشرف الفني على برنامج الصحة النفسية في غزة: **«رغم أن منظمات كثيرة تعمل في المجال النفسي، إلا أن الرعاية النفسية لا تغطي جميع السكان. كما أن بعض الأطفال والكبار يحتاجون للإحالة إلى الخدمات العلاجية الأكثر تخصصا لتلقي المزيد من العلاج. ولكن هذه الخدمات محدودة في الوقت الراهن»** ■

* Jerome Grimaud موظف في الصليب الأحمر الدانمركي

REUTERS

يؤثر النزوح على المرأة بأشكال متنوعة لكن وبعيدا عن الصورة النمطية للنساء الضحايا المغلوبات على أمورهن فإن المرأة قادرة على تدبير الأمور والصمود كما أنها شجاعة أمام الصعاب. هذا ما تشرحه مستشارة شؤون المرأة والحرب باللجنة الدولية **نادين بويشغيربال** «**فنحن لا نريد فقط أن نوجّه النظر إلى معاناة هؤلاء النساء وإنما نريد أيضا أن نعترف بشجاعتهن الهائلة وقدرتهن على الصمود في تأمين سبل البقاء لأسرهن في ظروف معادية وغير مألوفة. وأعتقد أنّ ما لا يقل عن ذلك أهمية هو إذكاء الوعي بالتهديدات المحددة التي تواجهها المرأة نتيجة للنزوح. وكثيرا ما يوضع النساء والأطفال في خانة واحدة باعتبارهم أضعف مجموعة. لكن في الواقع هناك مجموعتان مختلفتان جدا، لكل واحدة منهما نقاط ضعفها واحتياجاتها الخاصة. فالمرأة ليست مغلوبة على أمرها تماما. وفكرتنا هي الابتعاد عن الفرضيات والأنماط المقولبة وتوجيه النظر عوضا عن ذلك إلى احتياجات المرأة الخاصة وأوجه ضعفها وقت الحرب، وتوجيه النظر فعلا إلى قوة العزيمة الهائلة التي تبديها المرأة في حماية أسرتها ومؤازرتها، وفي إيجاد سبل التعامل مع محنتها**».

■ **لماذا نجد أحيانا أنّ المرأة المشرّدة في النزاعات المسلّحة مهددة بخطر أكبر من الخطر الذي يهدد الرجل المشرّد؟**

إن الأغلبية العظمى من النزاعات المسلحة يبدؤها الرجال ويخوضونها ويخططون لها، ومع ذلك فإن النساء يمثّلن نسبة عالية من ضحايا الحرب. وخلال النزاع المسلح غالبا ما يضطر المدنيون الذين لا يشاركون في الأعمال العدائية إلى الفرار من منازلهم تفاديا للوقوع في العنف. كما تُضطر النساء ويضطر أفراد أسرهن إلى مغادرة بيوتهم ومجتمعاتهم. وفي حالة الهلع والفوضى التي تعقب ذلك، تجد نساء عديدات أنفسهن بمفردهن ويتعين عليهن السهر وحدهن. تخيّل لحظة ما قد تشعر به من معاناة لو اقتلعك نزاع من مكان لعلّه المكان الأكثر سلاما وأمانا الذي عرفته طوال حياتك.

وفجأة، يصبح على النساء أن يتحملن كافة المسؤوليات اليومية المتمثلة في تأمين بقائهن وبقاء أسرهن، وهي مسؤوليات تنهض بها نساء عديدات معتمدات في ذلك على قدرتهن على تدبير الأمور وشجاعتهن. والنساء المشردات غالبا ما يكون عليهن المشي مسافات طويلة لجلب الماء والغذاء الحطب والدواء وغير ذلك من الضروريات الأساسية. وهن إذ يفعلن ذلك يعرّضن أنفسهن لخطر العنف الجنسي والاعتداء والإصابة جرّاء الذخيرة غير المتفجرة، من بين مخاطر أخرى. وعبء المسؤوليات العائلية، إذ يقترن بالألم والصدمة النفسية الناتجين عن فقدان الأقارب، يلحق ضررا جسيما بصحة النساء.

وفي الثقافات التي لا يجوز فيها للمرأة التنقل بدون رفقة قريب لها من الذكور، يمكن أن يقيّد تفريق النزاع بينها وبين زوجها قدرتها على الفرار من الأعمال العدائية. وقد تفتقر أيضا لوثائق الهوية اللازمة لعبور نقاط التفتيش أو الحدود الدولية، أو للإمكانيات المادية لدفع ثمن النقل. وعديدة هي التقارير التي تفيد بمضايقة النساء على الحدود ونقاط التفتيش.

والمخيم أو مجموعة المشردين المحلية داخل البلد قد يمنحان المرأة سلامة نسبية لكنهما لا يضعان حدا لمعاناتها. بل على العكس، يمكن أن يخلق وسط المخيم مخاطر وأعباء جديدة. وفي حين قد تكون المرأة معتمدة على شبكات الدعم العائلية والأقارب لتقاسم الأغذية والموارد، فإن الانفصال عن أسرتها ومجتمعها يحرمانها من هذا الدعم.

وقد تفضي قلّة الموارد إلى حالات تحتل فيها المرأة، بحكم جنسها، المرتبة الأخيرة من حيث الوصول إلى الغذاء والماء، بمعنى أنها أقل حظا في الأكل وهي آخر من يأكل. وهناك أيضا خطر حقيقي يتمثل في لجوئها إلى تعاطي الجنس لقاء الغذاء أو غيره من الضروريات الأساسية.

وقد تعرض قلة السلامة وفرص الاختلاء والخصوصية في المخيمات النساء لمشاكل صعبة، وذلك مثلا بزيادة خطر التعرض للعنف الجنسي. والصدمة النفسية الناجمة عن تجربتهن، والأذى الذي له صلة بالنزاع، والعنف الجنسي، والحمل غير المنظم، كلّها أمور تزيد حتما من حاجة النساء إلى رعاية صحية. ويحول النزوح بالإضافة إلى ذلك، دون وصول النساء إلى رعاية صحية جيدة في الوقت الذي يكنّ فيه بأمسّ الحاجة إليها.

■ **غالبا ما تجد النساء في النزاعات المسلحة سبلا مبدعة للتعامل مع وضعهن عوضا عن الاستكانة كضحايا مغلوبات على أمرهن. هل لكِ أن تعطينا بعض الأمثلة؟**

تُصور وسائل الإعلام النساء عادة كضحايا للقتال مغلوبات على أمرهن؛ وهي تروي قصصا مثيرة لتحرك مشاعر الرأي العام وتؤثر عليه وتكسب اهتمام المشاهدين والمستمعين. ففي الوقت الذي تشكو فيه النساء من عنف وقسوة فظيعين في أوقات الحرب، برأيي أنه من الأهمية بمكان تجاوز طريقة الوصف هذه لإدراك معاناة النساء إدراكا كاملا، دون الانتقاص من أهميتها.

ICRC

المرأة والنزوح: قوة العزيمة عند الشّدة

يشكل النزوح واحدا من أخطر آثار النزاعات المسلّحة اليوم. وقد نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر حملة توعية بقضية النساء اللواتي تشردهن النزاعات المسلحة في جميع أنحاء العالم، بمناسبة اليوم العالمي للمرأة الذي صادف الثامن من آذار / مارس الماضي.

وغالبا ما يكون مندوبو اللجنة شهودا على الشجاعة الهائلة التي تتحلى بها النساء المشردات: فهن يقمن باستغلال المواد المتاحة؛ ويؤمّنّ الغذاء والمأوى لمعاليهن؛ وينظمن أنفسهن في جمعيات حتّى يكون لهنّ صوت قوي واحد...

وتمكّن المنظمة النساء من إقامة مشاريع مدرّة للدخل لتعزيز قدرتهن على الاعتماد على أنفسهن.

ففي العراق مثلا، النساء المشردات قادرات بشكل استثنائي على تدبير أمورهن ومصممات على تأمين بقاء أسرهن. والنساء متى حُرمن من مصادر الدخل التقليدية يصبحن مُرغمات على القيام بأدوار جديدة– متحدية توقعات المجتمع وبجميع السبل الممكنة، بما في ذلك العمل اليدوي– لكسب القوت وتقديم الطعام.

والنساء يلعبن دورا حيويا في صيانة صحة ورفاه أسرهن ومجتمعاتهن. ودورهن في اتقاء الإصابة والمرض ومعالجتهما أمر أساسي عندما تكون فرص الوصول إلى الرعاية الصحية محدودة. وأثناء الحالات الطارئة، بإمكان النساء المساعدة على التوليد في مجتمعاتهن المحلية متى تعذر حضور أفراد الطواقم الطبيّة. ويمكن أن توفر القابلات التقليديات هذه الرعاية الصحية الإنجابية للعديد من النساء المشرّدات ورضّعهن.

■ **إنّ من يسعون إلى مساعدة المشردين داخل البلد عليهم الاهتمام أكثر بوجهات نظر المشردات. كيف تتعامل اللجنة الدولية مع هذه المسألة؟**

أولا إن اللجنة الدولية تدرك أن صوت المرأة، في مخيمات المشردين في الداخل، يظل غير مسموع، ممّا يعني أن احتياجاتها الخاصة تظل غير ملباة. وهناك نزعة لدى النساء إلى تفادي التحدث صراحة عن احتياجاتهن الخاصة، بحيث أنه من الضروري تخصيص فضاء آمن للحوار بخصوص مشاغلهن. وللسهر على عدم تجاهل النساء أو استغلالهن، تُشركهن اللجنة الدولية بشكل متزايد في تخطيط البرامج وتنفيذها وتقييمها.

وتسلّم اللجنة الدولية أيضا بأن مفهوم المرأة كمستفيد مستسلم إنما هو مفهوم تقييدي ويمكن أن يؤدي إلى استبعاد المرأة من الجهود الإنسانية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التقصير في استشارة المرأة بخصوص احتياجاتها أو إشراكها في تصميم المشاريع يؤثر على نوعية المساعدة وفعاليتها ونجاعتها. واللجنة الدولية تعلم أن النساء هن عموما مسؤولات عن احتياجات أسرهن الغذائية. وبالتالي فإن إسهامهن حيوي لتحديد نوع وكمية ما توزعه المنظمة من أغذية، وموقع نقاط توزيع الأغذية، لأسباب تتعلق بالسلامة ولأغراض يُسر الوصول إليها.

ولقد أثبتت التجربة أنّه عندما يُطلب من النساء التعبير عن وجهات نظرهن مباشرة، تأتي وجهات نظرهن وأولوياتهن مغايرة لوجهات نظر وأولويات الرجال الذين يزعمون التحدث باسمهنّ...

واللجنة الدولية، إذ تنتهز فرصة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة لتوجيه النظر إلى النساء المشرّدات، تعطي فرصة التعبير عن النفس للنساء اللاتي تعاملن بإيجابية مع محنتهن، ممّا يكشف عن قدرة عزيمتهن وصمودهن للتغلب على المعاناة المؤلمة وكسب المزيد من قوة العزيمة في نهاية المطاف.

■ **كيف تأخذ اللجنة الدولية بحقيقة أن احتياجات النساء كثيرا ما تختلف عن احتياجات الرجال والأطفال؟**

إننا ندرك مختلف الطرق الخاصة التي تؤثر بها النزاعات ويؤثر بها النزوح على النساء: المخاطر والتهديدات المحدّدة؛ والتحول الاجتماعي الذي يمكن أن يحصل عندما تتولّى المرأة مسؤوليات جديدة. ومن البديهي أنّ النساء والرجال والأولاد والبنات معرّضون لمخاطر مختلفة. ففي حين يمثل الرجال أغلبية الأشخاص الذين يُقتلون أو يُحتجزون أو يصبحون في عداد المفقودين أثناء الحروب، أصبحت النساء مستهدفات بشكل متزايد في صفوف المدنيين ومعرضات للعنف الجنسي.

ولقد استنبطنا فهما أكثر حسّاسية وأكثر عمقا لأدوار مسؤوليات وتجارب كل من الرجل والمرأة. وهذا الفهم بدوره يسمح لنا بتكييف استجابتنا بمزيد من الدقة وفق الاحتياجات المحددة الخاصة بالرجل والمرأة في أوقات النزاع ■

AFP

تحفظات مازالت تعيق تطبيق السيداو

التمييز ضد النساء العربيات مازال مقنّنًا

انعقدت في جنيف الدورة الخامسة والأربعون للجنة السيداو، بين 18 كانون الثاني/يناير و5 شباط/فبراير 2010. وقد ناقشت الدورة التقارير الحكومية لعدة بلدان منها دولتان عربيتان هما مصر والإمارات العربية المتحدة.

كما استمعت اللجنة أيضًا إلى تقارير المنظمات غير الحكومية من تلك البلدان وأصدرت توصيات لها. فما هو حال تطبيق الاتفاقية في الدول العربية؟

آمال عبد الهادي*

تمثل «اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة»، والمعروفة باسم «سيداو»، أحد الإنجازات الرئيسية للعقد العالمي للمرأة 1976 – 1985. فرغم أن الأمم المتحدة كانت قد عملت – خاصة من خلال لجنة أوضاع المرأة – على إعداد عدد من الاتفاقيات المتعلقة بالحقوق المختلفة للنساء منذ أربعينيات القرن الماضي، بالإضافة إلى عدد من الاتفاقيات الأخرى التي أكدت ضمنيا على عدم التمييز ضد المرأة؛ إلا أن اتفاقية السيداو كانت أول وثيقة تتجمع فيها كل هذه الحقوق (انظر ملحق الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق النساء) لتضاف إلى عدد من الاتفاقيات الأخرى المناهضة للتمييز عموما مثل اتفاقية عدم التمييز في مجال الاستخدام والمهنة (1958)، والاتفاقية الخاصة بعدم التمييز في مجال التعليم (1960)، واتفاقية الرضا بالزواج والحد الأدنى لسن الزواج وعقود الزواج (1962).

وأقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية السيداو في 18 كانون الأول/ديسمبر 1979، وبدأ نفاذها بالفعل في 3 أيلول/سبتمبر 1981.

* ناشطة مصرية في مجال حقوق المرأة ومديرة مؤسسة «المرأة الجديدة»

حال تطبيق الاتفاقية في الدول العربية

شاركت مصر في الأعمال التحضيرية للاتفاقية، ومثلتها الدكتورة **ميرفت التلاوي** التي أصبحت فيما بعد عضوًا في لجنة **السيداو**، ثم ترأست اللجنة لدورتين متتاليتين. ورغم أن مصر لم تكن من الدول العشرين الأول التي صادقت على الاتفاقية، إلا أنها كانت أول دولة عربية تصادق عليها (1981).

وبتصديق قطر على الاتفاقية في العام 2008 أصبحت كل الدول العربية -باستثناء السودان والصومال- مصادقة على الاتفاقية.

لكن، الغالبية العظمى من الدول العربية وضعت تحفظات على تطبيق الاتفاقية في بلدانها. وتتركز تحفظات الدول العربية على المواد 2، و9 (الفقرة الثانية)، و16، ●●●

و29، وبدرجة أقل المواد 7 و15. ورغم أن وترجع الدول العربية معظم التحفظات إلى عدم توافق المواد مع الشريعة الإسلامية (راجع ملحق حول المواد المتحفّظ عليها).

تعكس تحفظات الدول العربية على الاتفاقية وضع النساء العربيات في بلدانهن. فما زال هناك العديد من القوانين التي تميز ضد النساء وفى صدارتها قوانين الأحوال الشخصية التي تضعف من وضعية النساء في الأسرة، وتؤثر أيضًا على ممارسة النساء لحقوقهن في مختلف المجالات. فيمكن للزوج أن يمنع زوجته من العمل، أو من الحركة -ما زالت العديد من القوانين في البلدان العربية تشترط موافقة الزوج لحصول المرأة على جواز سفر خاص بها، بل وتعطى له الحق في منعها من السفر في أي وقت حتى بعد موافقته على جواز السفر. وتمثل قوانين الجنسية نموذجًا بارزًا للقوانين التي تنتهك حقوق المواطنة للمرأة العربية التي ما زالت في غالبية الدول العربية، غير قادرة على منح جنسيتها لأطفالها لو كان زوجها من غير جنسيتها. وتميز قوانين العقوبات ضد النساء في غالبية البلدان العربية. فعلى سبيل المثال يمكن أن ينال الزوج الذي يقتل زوجته في حال تلبسها بالزنى حكمًا مخففًا (دفاعا عن الشرف)، بينما تنال المرأة في نفس الظروف عقوبة القتل دون تخفيف. كما ينال الأقارب الذكور أحكامًا مخففة أو لا يعاقبون أصلًا فيما يسمى ب «جرائم الشرف» سواء بنصوص محددة في القانون.

من جانب آخر، فإن المشاركة السياسية للنساء العربيات تعتبر من أقل المعدلات على المستوى الدولي، باستثناء بعض الدول مثل المغرب وتونس، ومصر مؤخرًا. ولم تتبن غالبية الدول العربية مبدأ التمييز الايجابي لتمكين النساء العربيات من المشاركة السياسية والمشاركة في الحياة العامة، والتمثيل اللائق في كافة مستويات اتخاذ القرار، وهو ما يتضح في عدد النساء الوزيرات أو المحافظات، أو عميدات الكليات، أو في اللجان القيادية في النقابات والأحزاب، بل وحتى المنظمات غير الحكومية. كما أن في بعض البلدان العربية مثل مصر ما زال من غير الممكن للنساء الدخول بشكل طبيعي إلى سلك القضاء أسوة بزملائهن من خريجي كليات الحقوق.

وتتمثل العوائق والتحديات الأساسية التي تواجهها النساء العربيات، في الأساس بتصاعد التيارات المحافظة التي تؤيد الأدوار التقليدية للنساء وتسعى إلى منعهن من العمل والمشاركة في الحياة العامة. من جانب آخر فإن غياب المناخ السياسي الديموقراطي في غالبية البلدان العربية، وخاصة فيما يتعلق بحرية التعبير والتنظيم، يدعم في نهاية الأمر التيارات المعادية لحقوق النساء، ويكرس انتهاك حقوقهن.

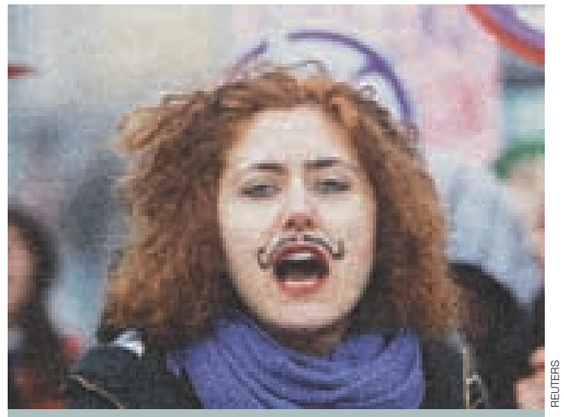
REUTERS

الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق النساء

- 1904، 1910، 1921، 1933 اتفاقيات بخصوص الاتجار بالنساء
- 1949 الاتفاقية الدولية لحظر الاتجار بالنساء
- 1951 الاتفاقية الدولية حول المساواة في الأجور
- 1952 الاتفاقية حول المساواة في الحقوق السياسية
- 1957 الاتفاقية الخاصة بجنسية المرأة المتزوجة
- 1958 اتفاقية عدم التمييز في مجال التوظيف
- 1960 اتفاقية عدم التمييز في مجال التعليم
- 1962 اتفاقية الرضا بالزواج والحد الأدنى لسن الزواج
- 1967 الإعلان العالمي لإلغاء جميع أشكال التمييز ضد النساء
- 1970 العام العالمي للمرأة
- 1979 اتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد النساء
- 1976 – 1985 العقد العالمي للمرأة (مؤتمرات المرأة)
- 1993 المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان – فيينا

حملات نسائية ناجحة لتحقيق الأهداف

على أن هناك جانبا مشرقا من الصورة أيضًا؛ ألا وهو تنامي الحركة النسائية في غالبية البلدان العربية على المستوى الوطني وكذلك على المستوى الإقليمي. وقد شهد العقد الأخير بشكل خاص تناميا للحركات النسائية في البلدان العربية واستخدامها للآليات الدولية من أجل تمتع النساء العربيات بحقوقهن الإنسانية. واستطاعت النساء المصريات مثلا عبر حملة استمرت لأكثر من عقد تغيير قانون الجنسية المصري في العام 2004، بحيث أصبح بإمكان المرأة المصرية المتزوجة من أجنبي أن تمنح جنسيتها لأبنائها. وتجري حملات مماثلة في عدد من الدول العربية بغية تغيير قوانين الجنسية وأبرزها الحملة الجارية حاليًا في لبنان «**جنسيتي حق لي ولأسرتي**». كما استطاعت المنظمات النسائية في المغرب الدفع بتغيير مدونة (قانون) الأحوال الشخصية بعد سنوات من حملة «التغيير ضروري وممكن». وحصلت تغييرات جزئية في قوانين الأحوال الشخصية في الجزائر ومصر. حاليًا هناك حملات وطنية وإقليمية تسعى لتغيير قوانين الأحوال الشخصية في عديد من الدول العربية لتحقيق العدل والمساواة الحقة بين النساء والرجال داخل الأسرة. وقد نجحت جهود المجتمع المدني في البحرين مثلا في إصدار قانون

مواد اتفاقية السيداو التي تحفظت عليها الدول العربية

المادة (2)

تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة وتوافق على أن تشجع بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء سياسة القضاء على التمييز ضد المرأة.

المادة (7)

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في الحياة السياسية والعامة للبلد.

المادة (9)

- **تمنح الدول الأطراف المرأة حقا مساويا لحق الرجل في اكتساب جنسيتها أو الاحتفاظ بها أو تغييرها وتضمن بوجه خاص ألا يترتب على الزواج من أجنبي أو تغيير جنسية الزوج أثناء الزواج أن تتغير تلقائيا جنسية الزوجة أو أن تصبح بلا جنسية أو أن تفرض عليها جنسية الزوج.**
- **تمنح الدول الأطراف المرأة حقا مساويا لحق الرجل فيما يتعلق بجنسية أطفالها.**

المادة (15)

- **تمنح الدول الأطراف المرأة المساواة مع الرجل أمام القانون.**
- **تمنح الدول الأطراف المرأة في الشئون المدنية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية. وتكفل للمرأة بوجه خاص حقوقا مساوية لحقوق الرجل في إبرام العقود وإدارة الممتلكات وتعاملها على قدم المساواة في جميع مراحل الإجراءات المتبعة في المحاكم والهيئات القضائية.**
- **توافق الدول الأطراف على اعتبار جميع العقود وسائر أنواع الصكوك الخاصة التي لها أثر قانوني يستهدف تقييد الأهلية القانونية للمرأة باطلة ولاغية.**
- **تمنح الدول الأطراف الرجل والمرأة نفس الحقوق فيما يتعلق بالقانون المتصل بحركة الأشخاص وحرية اختيار محل سكنهم وإقامتهم.**

المادة (16)

- **1. تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية، وتضمن بوجه خاص، على أساس تساوى الرجل والمرأة:**

أ – نفس الحق في عقد الزواج.

ب – نفس الحق في حرية اختيار الزوج، وفى عدم عقد الزواج إلا برضاها الكامل.

ج – نفس الحقوق والمسئوليات أثناء الزواج وعند فسخه.

د – نفس الحقوق والمسئوليات كوالدة، بغض النظر عن حالتها الزوجية، في الأمور المتعلقة بأطفالها، وفى جميع الأحوال، تكون مصالح الأطفال هي الراجحة.

هـ – نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسئولية عدد أطفالها والفترة بين طفل وآخر، وفى الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة بتمكينها من ممارسة هذه الحقوق.

و – نفس الحقوق والمسئوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم، أو ما شابه ذلك من الأنظمة المؤسسية الاجتماعية، حيث توجد هذه المفاهيم في التشريع الوطني، وفى جميع الأحوال تكون مصالح الأطفال هي الراجحة.

ز – نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة، بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة والمهنة والوظيفة.

ح – نفس الحقوق لكلا الزوجين فيما يتعلق بملكية وحيازة الممتلكات، والإشراف عليها، وإدارتها، والتمتع بها، والتصرف فيها، سواء بلا مقابل أو مقابل عوض ذي قيمة.

- **2. لا يكون لخطوبة الطفل أو زواجه أي أثر قانوني، وتتخذ جميع الإجراءات الضرورية، بما فيها التشريع، لتحدي سن أدنى للزواج ولجعل تسجيل الزواج في سجل رسمي أمرا إلزاميا.**

المادة (29)

يعرض للتحكيم أي خلاف ينشأ بين دولتين أو أكثر من الدول الأطراف حول تفسير أو تطبيق هذه الاتفاقية ولا يسوّى عن طريق المفاوضات.

للأحوال الشخصية. ورغم أن القانون لا ينطبق سوى على المسلمين السنة، ولم يصدر بعد قانون للأحوال الشخصية للمسلمين الشيعة، إلا أن صدور قانون بحد ذاته خطوة للأمام.

ومن جانب آخر شكلت النساء العربيات -في إطار مشاركتهن في الحملة الدولية للتصديق على البروتوكول الاختياري- التحالف الإقليمي «مساواة بدون تحفظ». وشنت عام 2006 حملتها الإقليمية «مساواة دون تحفظ» من أجل رفع تحفظات الحكومات العربية على اتفاقية **السيداو** بالإضافة إلى التصديق على البروتوكول الاختياري. وقد نجحت الحملة عبر الأعوام الماضية في البناء على كل الجهود السابقة، والوصول إلى نجاحات مهمة حيث رفعت خمس دول عربية (مصر والجزائر، والكويت، والأردن، والمغرب) بعضا من تحفظاتها على الاتفاقية، وصادقت تونس على البروتوكول الاختياري. كما نجحت الحملة الإقليمية في الدفع باتجاه حملات على المستوى الوطني في عدد من البلدان العربية، باستخدام الآليات الدولية وعلى رأسها لجنة **السيداو**، والمراجعة الدولية الشاملة.

أخيرًا حولت النساء المصريات الاحتفال بمرور ثلاثين عامًا على **السيداو** في مصر إلى فرصة للتأكيد على إصرارهن على الحصول على كافة حقوقهن. فقد نظمن الندوات العامة التي استهدفت أوسع تعريف بتقارير الظل (التقريران الأول 2000 والثاني 2009) التي أعدها ائتلاف المنظمات غير الحكومية قبل السفر إلى جنيف، ونظمن لقاءات إعلامية بعد عودتهن، والأهم أنهن قدن أولى الحملات من أجل تبنى الحكومة لتطبيق التوصيات الختامية للجنة السيداو، ومن بينها الحملة الجارية حاليًا من أجل إعطاء الحق الدستوري للنساء في تولى مناصب قضائية.

وكانت لجنة **السيداو** قد أصدرت في نهاية الدورة توصياتها الختامية للحكومات التي قدمت تقاريرها، وتضمنت التوصيات القضايا التي تحتاج كل حكومة للعمل عليها والتقدم الذي ينبغي إحرازه بحلول موعد تقريرها المقبل.

وتضمنت التوصيات الختامية للجنة **السيداو** للحكومات العديد من التوصيات، وعلى رأسها سحب تحفظات على الاتفاقية والتصديق على البروتوكول الاختياري للاتفاقية الذي يمنح النساء والمنظمات غير الحكومية حق اللجوء إلى الآليات الدولية -بعد استنفاد الآليات الوطنية- لوقف الانتهاكات والتمتع بحقوقهن الإنسانية التي التزمت بها الحكومات بتصديقها على الاتفاقية، وتحويل هذه الالتزامات إلى ممارسات فعلية ■

كيف نضمن حقوق السجينات؟
التمييز ضد النساء يرافقهن إلى السجون

بديعة الكوطيط*

كثيرًا ما تجد النساء المحتجزات حول العالم أنفسهن في ظروف بائسة لا تأخذ بعين الاعتبار اختلافهن عن الرجال من الناحيتين النفسية والجسدية.

بالرغم من أن وضع النساء شهد تحسنًا منذ خروج الشرعة الدولية لحقوق الإنسان إلى النور كما غيرها من المواثيق والاتفاقيات المختلفة ذات الصلة بحمايتهن والقضاء على التمييز ضدهن، إلا أن ذلك لم ينجح مع الأسف في اقتلاع جميع أشكال التمييز الذي يتعرضن له من جذوره، وتضاف إليها الآثار السلبية التي تخلفها التغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية التي تخل بتوازن أنظمة الدول.

هذا وتواجه النساء أثناء النزاعات المسلحة، أسوأ أنواع الاستعباد والاعتداء (الاغتصاب، الاتجار بالنساء، البغاء،..إلخ). فكل هذه التغييرات التي تؤثر بشدة على النساء تزيد من ضعف وهشاشة وضعهن. وسواء كانت المحتجزات يعشن في البلدان المتقدمة أو في البلدان النامية، تتشابه ملامحهن والصورة العامة لهن. فأغلبهن اقترفن جرائم بسيطة وهن فقيرات نشأن في بيئة فقيرة ولم يحصلن على قدر واف من التعليم. كما أنهن في الأغلب ضحايا لممارسات سيئة ترتكبها بعض المجتمعات حيال تعليم الفتيات. كما تعرضت معظمهن إلى العنف الجسدي والنفسي وكثيرات منهن مطلّقات ويقمن بإعالة أطفالهن من دون أي مورد للدخل أو يعانين من خلل في صحتهن العقلية ومن بينهن الكثيرات من المدمنات..

وفي ظل العزلة والتهميش والتقليل من شأنهن، تواجه هؤلاء النساء أشكال العنف والاحتقار والاستغلال والتطرف. وللبقاء على قيد الحياة، لا يجدن في أغلب الأحيان فرصًا أخرى سوى ممارسة أعمال غير مشروعة ويضطررن للتنقل من مكان لآخر طلبا للإيواء وأحيانا ينتهي بهن المطاف وراء القضبان.

ظروف الاحتجاز وأشكال التمييز ضد المحتجزات

لا ينظر المجتمع إلى المحتجزين بطبيعة الحال نظرة إيجابية لا سيما النساء منهم، إذ يحظين بإدانة مزدوجة. وتشكل النساء نسبة ضعيفة من نزلاء السجون في جميع أنظمة السجون، فيجدن أنفسهن داخل سجون أقيمت للرجال لا تتواءم مع احتياجاتهن الخاصة (الأمهات المرضعات، الأمهات برفقة أطفالهن،...). وغالبا ما يجري احتجازهن داخل أماكن مؤقتة أو في ملاحق للسجن مخصصة للرجال. وحتى عند بناء سجون خاصة بهن، كثيرا ما تكون صورة طبق الأصل من سجون الرجال، كما تفرض مشكلة أخرى وهي البعد المكاني عن منازلهن مما يزيد من صعوبة تواصلهن مع الأولاد والأسرة.

تحظر «**الاتفاقية الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة**» الممارسات التي تحول دون حصول المرأة على الحماية والحريات الأساسية المكفولة للرجل في جميع المجالات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، أو المكفولة بموجب القانون المدني بوجه عام. وبما أن السجن يعد مجتمعا داخل المجتمع، لا تقف أشكال التمييز ضد المرأة عند بوابته بل تمتد إلى داخله. وكثيرا ما يعشن في ظروف احتجاز شديدة البؤس مقارنة بالمحتجزين من الرجال ويضطررن للتعامل مع حارسات لم يحصلن على تدريب واف وغير مؤهلات للنهوض بالمهمة التي تُناط بهن أو للتعامل مع الحالة النفسية المعقدة للمحتجزات. فأمام مجتمع يدينهن ووسائل إعلام تقدم صورة تقلل من شأنهن، تزداد مشاعر الاحتقار حيال المحتجزات وتجيز تعرضهن للعنف. كما يشكل الانتماء الإثني والجنسية عناصر أخرى تزيد من سوء وضع بعض النساء في السجون في حين تنص الفقرة الثانية من **المبادئ الأساسية لمعاملة السجناء** على أنه: «**لا يجوز التمييز بين السجناء على أساس العنصر أو اللون، أو الجنس أو اللغة أو الدين، أو الرأي السياسي، أو غير السياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثورة، أو المولد أو أي وضع آخر**».

واجبات الدول

من المهم أن تراعي الدول الانعكاسات الخطيرة على المجتمع جراء المشاكل الكبيرة الناتجة عن احتجاز النساء في السجون. فكثيرا ما تتحمل هؤلاء النساء مسؤوليات كبيرة ويقمن بتربية أطفالهن مما يترتب على احتجازهن آثار خطيرة.

والدول ملزمة بالتصديق على الاتفاقيات ●●●

* اختصاصية في الحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومستشارة ومدربة في مجال تعزيز حقوق الإنسان في أماكن الاعتقال في «جمعية نشر وتعزيز الحقوق الإنسانية» في جنيف.

REUTERS

AFP

REUTERS

التمييز ضد النساء يرافقهن إلى السجون كيف نضمن حقوق السجينات؟

••• التي تحض على احترام الكرامة الإنسانية داخل أماكن الاحتجاز وعلى احترام وحماية وإنفاذ القواعد المتضمنة في هذه الصكوك التي تعد في مجملها إطارا قانونيا دوليا كاملا ومفصلا من شأنه ضمان احترام حقوق وكرامة وحرية الإنسان.

وتتناول العديد من الصكوك القانونية والعهود والاتفاقيات مسألة حقوق الإنسان في السجن والفئات الخاصة كالنساء حيث حظيت باعتبارات خاصة. فللنهوض بالكرامة الإنسانية داخل السجن والحد من مظاهر التمييز حيال المحتجزات، يجب توفير التدريب الكافي للعاملين في السجون في ما يتعلق بحقوق الإنسان (الاتفاقيات والعهود،...إلخ.) وأيضا تدريبهم على التعامل مع الفئات الضعيفة في السجن (كالنساء والمهاجرين والأحداث والمرضى النفسيين وغيرهم).

وتنص الفقرة «ط» من المادة الرابعة من إعلان القضاء على العنف ضد المرأة على أن تتخذ الدول التدابير اللازمة لضمان تزويد موظفي إنفاذ القوانين والموظفين العموميين المسؤولين عن تنفيذ سياسات درء العنف عن المرأة والتحقيق فيه والمعاقبة عليه، بتدريب يجعلهم واعين لاحتياجات المرأة.

الاحتياجات الخاصة بالنساء والأطفال

تنص القواعد الدنيا النموذجية لمعاملة السجناء على التزامات خاصة في ما يتعلق بالنساء. فالفقرة الأولى من المادة 23 من القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء في سجون النساء تنص على أنه: «**يجب أن تتوفر المنشآت الخاصة الضرورية لتوفير الرعاية والعلاج قبل الولادة وبعدها. ويجب، حيثما كان ذلك في الإمكان، اتخاذ ترتيبات لجعل الأطفال يولدون في مستشفى مدني. وإذا ولد الطفل في السجن، لا ينبغي أن يذكر ذلك في شهادة ميلاده**».

وعلى السلطات في الأماكن التأديبية الأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الخاصة للنساء (حمل ووضع ورعاية قبل الوضع ونظافة،... إلخ.) وأن يوفر لهن نفس الرعاية الموفرة خارج جدران السجن والحصول على الاستشارات الطبية في الأمراض النسائية والحصول على الأدوات اللازمة للنظافة الشخصية (مثل الفوط الصحية...).

كما يقع على الأطفال المحتجزين مع أمهاتهم ظلم بيّن له عواقب وخيمة على نموهم. فسواء بقي الأطفال بصحبة أمهاتهم في السجن أو خارجه في كنف بعض أفراد الأسرة فهذا لا يغير من الأمر شيئا. إذ ينبغي أن توفر ما يلزم من حلول ورعاية للتخفيف من معاناة الأم والطفل معا وأن يكون ذلك من بين أولويات النظام القانوني في الدولة.

وتنص الفقرة الأولى من المادة الثالثة من اتفاقية الأمم المتحدة في جميع الإجراءات التي تتعلق بالأطفال، سواء قامت بها مؤسسات الرعاية الاجتماعية العامة أو الخاصة، أو المحاكم أو السلطات الإدارية أو الهيئات التشريعية، ويولى الاعتبار الأول لمصالح الطفل الفضلى.

إعادة الإدماج ومبادرات المجتمع المدني

تنص الفقرة الثالثة من المادة 10 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أنه: «**يجب أن يراعي نظام السجون معاملة المسجونين معاملة يكون هدفها الأساسي إصلاحهم وإعادة تأهيلهم الاجتماعي**».

من بين أنواع التمييز الذي تتعرض له النساء في السجون، العروض المقدمة في إطار برامج إعادة الإدماج والتي لا تساوي بين الرجال والنساء. فغالبا ما تقتصر على الحياكة والنظافة والطهي...إلخ. في الوقت الذي تستطيع فيه النساء الاستفادة أثناء فترة الحبس بالحصول على التدريب والتعليم والعمل، الأمر الذي يساعد على إعادة إدماجهن ويحول دون تولد مشاعر العار والخزي التي يقابل بها السجناء عند الخروج من السجن لاسيما النساء منهم حيث يتعرضن لها أكثر من الرجال.

نظرًا إلى أنه غالبا ما يقوم المجتمع المدني بالتصدي إلى الثغرات الموجودة في النظم التأديبية في ما يتعلق بالنساء، يتعين على السلطات في هذه المؤسسات التأديبية تشجيع مبادرات المجتمع المدني ودعمها ماديا. ويتعين على الجمعيات النشطة في مجال نشر حقوق الإنسان إدراج احتياجات المحتجزات في مطالباتها وتخصيص برامج محددة ومتماشية مع هذه الفئة من السكان، أي السماح للمحتجزات بمعرفة ما لهن من حقوق وما عليهن من واجبات من خلال تشجيعهن على الاشتراك في البرامج التعليمية والخاصة بالمواطنة وتوفير الدعم النفسي لهن والأنشطة الإبداعية والفرص الحقيقية للتعلم التي من شأنها مساعدتهن على إيجاد عمل عند الخروج من السجن.

الوقاية من أجل تعزيز كرامة النساء

ومن المهم أن تضع جمعيات المجتمع المدني تدابير واستراتيجيات للقضاء على أسباب الجريمة لدى النساء والشروع في حملات الوقاية والتوعية لتشجيع تعليم الفتيات ومكافحة التمييز والتصدي لنقص الهياكل الأساسية اللازمة للوصول للمجتمعات البدوية والريفية والتوعية في ما يتعلق بالعنف الذي تتعرض له النساء.

كما تقوم وسائل الإعلام بدور مهم وضروري في تغيير نظرة الازدراء التي ينظر بها المجتمع إلى المحتجزات والعار الذي يصمهن به. وهنا تكمن ضرورة الالتزام بالموضوعية في التقارير الصحفية التي تعالج هذه القضية بحيث تتوافق مع ما ينص عليه العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية من ضرورة أن «**يعامل جميع المحرومين من حريتهم معاملة إنسانية تحترم الكرامة الأصيلة في الشخص الإنساني**» ■

ICRC

كثيرات فقدن المعيل ويترأسن أسرهن

نساء العراق أو القصة الكاملة للحرب

لقد سمعت الكثير من القصص المأساوية خلال عملي مع النساء المتأثرات بالنزاع في العراق وتساءلت: كيف يمكن لأحد البقاء على قيد الحياة مع كل تلك المصاعب؟ كما شهدت العديد من الأمثلة التي تبعث على البكاء لقوة وإصرار المرأة وقدراتها على تجاوز الأحداث المأساوية.

إن النساء في العراق، قد لا يختلفن في أغلب الأحيان عن مثيلاتهن في مناطق أخرى من العالم شهدن نزاعات، فهن يعانين بشكل قاس جراء الحرب إلا أن معاناتهن تختلف عن معاناة الرجال. ومع ذلك، فالاكتفاء بالنظر إليهن كضحايا، سيمنعنا عن رؤية ما لديهن من قدرات وإصرار. إذ تستحق النساء في العراق أن يقيّم القائمون على العمل الإنساني مدى الضرر الذي وقع عليهن بسبب الحرب، ويضعوا برامج تخفف من معاناتهن وتبني قدراتهن من أجل المستقبل.

بين المصاعب والصمود

عندما بدأت الحرب في العام 2003، كانت هناك أجيال من النساء في العراق سبق أن واجهن صعوبات جمة بسبب النزاعات. ففي الثمانينيات، كانت النساء يترقبن في يأس وصول أخبار من أزواجهن أو أولادهن الرابضين على جبهة الحرب الإيرانية - العراقية. وبعد انتهاء الحرب، استمر بعضهن لسنوات طوال يترقبن عودة الأحبة ويواجهن أعباء الحياة بمفردهن، وقد تحملن مسؤولية الأطفال من دون أن يكّن قادرات على المضي قدما في الحياة نظرا لتمسكهن بالأمل في رؤية الأحبة مرة أخرى.

وخلال فترات القمع الداخلي في الشمال والجنوب، عانت عائلات كثيرة من وفاة أفراد منها أو تعرضهم للاختفاء أو النفي أو الاحتجاز لفترات طويلة، ومرة أخرى كانت المرأة هي الضحية المباشرة للعنف أو تركت لرعاية أسرتها بمفردها.

وفي الفترة الزمنية نفسها أي في الثمانينيات من القرن الماضي، انضمت أعداد كبيرة من النساء إلى القوى العاملة في البلاد لتحل محل الرجال الذين ذهبوا إلى الجبهة، فتحملن بذلك المزيد من المسؤوليات. وبعد مرور عقود توفرت خلالها فرص حصول النساء على التعليم، استخدمن المهارات والمعارف الجديدة التي اكتسبنها وأثبتن أنهن يستطعن كسب لقمة العيش لأطفالهن، ويكّن أقوياء داخل المنزل وخارجه لاسيما عندما يكون الرجل غائبا

كارولين دويلييه–سابوبا*

عن أسرته.

لكن، وبعد أن وضعت حرب الخليج لعامي 1990–1991 أوزارها، وخلال سنوات الحظر، تقلصت فرص العمل ما انعكس على فرص عمل النساء، وطال التدهور الأنظمة التعليمية والصحية فبات تعليم الأطفال مهددا والمستقبل غير معروف. هذه الأوضاع دفعت الكثيرين إلى التعجيل بزواج الفتيات لرفع العبء عن الأسرة، كما فقدت الكثير من النساء وظائفهن في القطاع العام.

في الوقت نفسه، وفي شمال البلاد، ازدادت مشاركة النساء في منظمات المجتمع المدني وحتى في الحياة السياسية، لتظهر عزيمتهن ورغبتهن في تحسين ظروف حياتهن.

ومنذ العام 2003، والنساء في العراق يجمعن بين الضعف والإصرار. فهنّ وقعن ضحايا النزوح والقتل والخطف أو العنف الجنسي، وواجهن الحرمان والجوع. وبالرغم من تأثرهن الرهيب بالنزاع، فقد شببن على مواجهة الشدائد وتحمل مسؤوليات جديدة بالنسبة لهن ولأسرهن. وخلال فترة العنف الطائفي الرهيب من 2006 إلى 2008، عندما تم استهداف الرجال في الشوارع، حلت النساء محل الرجال خارج المنزل سواء للتسوق أو لمصاحبة الأبناء للمستشفى أو حتى للذهاب إلى المشرحة للتعرف على جثث الأحباء. وفي السنوات الأخيرة، زاد انخراط النساء في الحياة العامة والعمل لدى المنظمات غير الحكومية.

كيف أصف حال المرأة في العراق؟ وما هي الصورة الأكثر تعبيرا عنها؟ هل هي المرأة المشردة من دارها التي تذرف الدمع وتنتحب؟ أم هي الأرملة التي تجمع قوتها لإقامة مشروع تجاري صغير في منزلها علّه يسد رمق أطفالها الأربعة؟ لعلهما صورتان لامرأة عراقية واحدة في مرحلتين مختلفتين من مراحل حياتها خلال العقد الماضي.

أوجه الضعف المختلفة

بذلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق جهودا كبيرة لتقييم أثر النزاع على النساء لا سيما مقارنة بالرجال، وتحديد نقاط الضعف لديهن التي تحتاج إلى استجابة خاصة. وهذا التحليل على المستوى الجندري يظهر الصورة الكلاسيكية نسبيا للحروب حيث يتحمل الرجال النصيب الأكبر من العواقب المترتبة منها كالموت والقتل. ويمثل الرجال بين 80 إلى 90٪ من الوفيات الناجمة عن النزاع منذ عام 2003. كما أنهم أكثر عرضة للتوقيف والاحتجاز.

إلى ذلك يتأثر الرجال والنساء بصورة مشتركة بانقطاع الخدمات الصحية وتردي شبكات المياه والكهرباء. ويتجرعون القدر نفسه من المعاناة جراء النزوح والحرمان.

لكن في بعض الحالات، تكون للنساء نقاط ضعف محددة. فالحوامل والمرضعات بحاجة مستمرة إلى الرعاية الصحية التي تقيهن خطر الموت والمرض والعجز المرتبط بالحمل والولادة. فالأزمة التي تعيشها نظم الرعاية الصحية في العراق بعد سنوات من العقوبات والحروب تؤثر على نوعية الخدمات وتوافرها. وكثير من النساء في العراق ولا سيما في المناطق الريفية يلدن في المنزل دون الحصول على الرعاية الصحية المناسبة، وفي كثير من الأحيان يعود ارتفاع مخاطر الحمل أو الولادة إلى عدم القدرة على إجراء تشخيص وقائي. يضاف إلى ذلك أسباب أخرى عدة من بينها عدم وجود القابلات المؤهلات أو المعدات. وتعمل اللجنة الدولية على تقييم أسباب المشكلة من أجل تحديد الطريقة المناسبة للتصدي لها.

على الرغم من أن عدد النساء في السجون يقل عن عدد الرجال (بلغ عدد المحتجزات اللاتي زارهن مندوبو اللجنة الدولية في العراق في عام 2009 أقل من 300 امرأة من أصل 22 ألف محتجز) إلا أنهن يواجهن بعض المخاطر والاحتياجات المحددة. وترصد اللجنة الدولية عن كثب الأمور المتعلقة بسلامتهن وخصوصيتهن وفصلهن عن المحتجزين والحراس الذكور وحصولهن على الرعاية الصحية والنظافة بالإضافة إلى علاقاتهن بأسرهن وحالة المحتجزات من الأمهات اللاتي يصحبن أطفالا.

أما قضية المفقودين فهي تشكل إرثا تراجيديا خلفته النزاعات في العراق. إذ تعمل اللجنة الدولية على مساعدة السلطات في كشف أماكن وجود الأشخاص الذين اختفوا خلال الحرب العراقية – الإيرانية وحرب الخليج في العام(**) 1991. ونظرا إلى أن معظم الضحايا المباشرين لحالات الاختفاء هم من الرجال، تقع أسرهم وزوجاتهم في متاهات قانونية ونفسية ويصبحن عاجزات عن المضي قدما في حياتهن إلى أن يجري استجلاء مصير أحبائهن.

الأسر التي ترأسها النساء

عندما زرت العراق لأول مرة، قيل لي مرارًا وتكرارًا «إن أكثر من يعاني في هذا النزاع هن النساء لأنهن الزوجات والبنات». ولا غرابة في ذلك في بلد تعتمد فيه معظم النساء على الرجل كمعيل وحام لهن في المجتمع. ومع التزايد المأساوي في وفيات الرجال في السنوات الثلاثين الماضية، ارتفع في العراق بشكل ملحوظ عدد الأرامل وزوجات المفقودين أو المحتجزين اللواتي وجدن أنفسهن فجأة على رأس العائلة وغير قادرات على طلب المساعدة من أفراد الأسرة القريبة لأنهم أيضا يعانون من الظروف الاقتصادية الصعبة. واللافت أن العديد من أولئك الرئيسات المستجدات للأسر حصلن على تعليم محدود وليست لديهن أية خبرة مهنية.

وتشير التقديرات إلى أن أكثر من مليون امرأة ممن يترأسن أسرا ليس لديهن دخل ويعشن ظروفا مروعة. فهن يكافحن من أجل تأمين ثمن الغذاء والكساء والدواء وتعليم الأطفال. وتعاني الكثيرات منهن من الحرمان الشديد. ويتعرضن للاستغلال الذي قد يأخذ شكل البغاء أو الاتجار بهن. ومن المحزن أن تواجه النساء الآن وضعا ميئوسا منه لتوفير الطعام لأطفالهن بعد كل ما تعرضن له من صدمات شديدة بسبب الظروف المروعة أحيانا أو لفقدان الزوج. إنه لمن المؤسف أن يؤدي الفقدان والفقر في كثير من الأحيان إلى ضياع جميع الفرص أمام بناء مستقبل أفضل للجيل القادم. فالفتيان يجري إرسالهم إلى العمل في سن مبكرة، وتحرم الفتيات من الذهاب إلى المدرسة إما بسبب تكلفة التعليم أو بسبب التقاليد المحافظة بشأن تعليم البنات.

وقد صنفت اللجنة الدولية مسألة ترؤس المرأة للأسرة بأنها من أشد موروثات النزاعات شدة وألما والتي تمزق هذا البلد. وهي واحدة من أولويات القضايا التي تستهدفها المشاريع الإنسانية التي تنفذها اللجنة في العراق. وتهدف برامج اللجنة إلى مساعدة هذه الأسر على استعادة الاكتفاء الاقتصادي. ولأن العديد من النساء لديهن الحافز وحسن التدبّر، تقدم لهن اللجنة الدولية المشاريع الصغيرة وأنشطة مدرة للدخل. وأقامت نساء عدة منهن مشاريع صغيرة مثل المحلات أو الأنشطة التجارية، ومشاريع إنتاج الأغذية، وتصفيف الشعر والتجميل. وهي مشاريع تحدث فرقا حقيقيا في حياة العائلات، وتساعدها على النهوض فوق خط الفقر واستعادة الكرامة والعزة.

غير أن الكثيرات مازلن غير قادرات على إيجاد القوة اللازمة لمساعدة أنفسهن وهن بحاجة إلى الدعم الاجتماعي من الدولة. ومن جانبها، تدعم اللجنة الدولية الجهات المعنية بتوفير علاوة الرعاية الاجتماعية للمرأة التي فقدت عائلها وتراقب كفاءة الآليات القائمة. ولأن عملية جمع الوثائق الرسمية وتقديم الطلبات أمر مكلف، تقوم اللجنة الدولية أيضا بدعم النساء ماليا للقيام بذلك. وبالرغم من كل الجهود التي بذلت والتحسينات التي أدخلت في العام الماضي، ما زال هناك الكثير الذي يجب القيام به لضمان حصول النساء المعوزات على هذا الدخل المهم. ويجب توفير الوسائل اللازمة للجهات المعنية للنهوض بعملها على أكمل وجه. وهي مسألة ينبغي أن تحظى بالاهتمام الذي تستحقه. كما ينبغي أن يتحد أصحاب المصلحة على المستوى السياسي من أجل تحسين قدرات الجهات المعنية حتى تؤدي عملها. فمساندة قضية المرأة التي ترأس الأسر المعيشية لا تتجاوز حتى الآن التشدق بها، بينما ما تحتاجه هو العمل بفاعلية وحياد.

خلال عملي مع النساء اللاتي يقمن بدور رب الأسرة في العراق، رأيت وجوها شاخت قبل الأوان بسبب تجرع الذكريات البشعة وفقدان الأحبة والنزوح والظروف المعيشية القاسية. لقد رأيت عيونا زائغة لأن المسؤوليات أصعب من أن تحتمل. رأيت أطفالا يحملون أعباء ثقيلة ينوء بها كاهلهم الضعيف في محاولة للتخفيف عن أمهاتهم. إن نساء العراق بحاجة إلى الدعم لما يتحملنه من مسؤوليات جديدة لم يتربين على أدائها. وحتى مجتمعهن ليس مستعدا بعد لهذا التحول. ولكن مع قدر قليل من المساعدة لتجاوز الأوقات الصعبة، عبر دعم التنمية الاجتماعية وتقديم مساعدات مالية لخلق أنشطة مدرة للدخل، أو توفير التدريب لتعلم حرفة جديدة، تظهر الكثير من النساء ما لديهن من قوة هائلة لمواجهة الظروف وإيجاد حلول خلاقة لتحسين أوضاعهن. وهن يقمن بذلك لأبنائهن وينجحن في استعادة العزة والكرامة.

وقد أتاح لي العمل مع منظمات نسائية محلية غير حكومية كشركاء في بعض المشاريع وأيضا مع موظفات محليات يعملن لدى اللجنة الدولية أو مع نساء في مناصب اتخاذ القرار، الالتقاء بشخصيات رائعة. فهن حظين بعلم وفرص أكبر ويحاولن إحداث تغيير في حياة غيرهن من النساء من خلال نشاطهن والتزامهن بالمساعدة حتى لو كان ذلك يعرضهن للخطر.

قد تكون الحرب شأن الرجل، ولكن بسماع أصوات النساء أيضا يمكن للأطراف الفاعلة في العمل الإنساني أن تفهم القصة الكاملة للحرب ■

ICRC

* Caroline Douillet–Saboba المسؤولة عن مشروع "النساء والحرب" في بعثة اللجنة الدولية في العراق

** بالنسبة لنزاع عام 2003، تقدم اللجنة الدولية للسلطات الدعم التقني والمالي (مع توفير ما يلزم من معدات). فمنذ عام 2003، دأبت اللجنة الدولية على تدريب خبراء الطب الشرعي على المستوى المحلي على كيفية التعرف على الرفات البشرية وإدارتها وفي الوقت نفسه، عملت على توفير المعدات وإصلاح المنشآت لمساعدة مؤسسات الطب العدلي على تعزيز قدراتها.

نساء يتحدين القيود

بالرغم من وجود العديد من القيود الاجتماعية والثقافية التي كانت ولا تزال تعيق بعض حركة المرأة في مجتمعات المنطقة إلا أن عددا كبيرا من النساء أثبتن أنهن قادرات على القيادة والابتكار والإنجاز جعلتهن يحتللن مراتب متقدمة في مجتمعاتهن. في ما يلي شهادات لتسع نساء عربيات حفرن مكانة في وجدان مجتمعاتهن وتركن بصمات إيجابية عليها فشكلن بذلك أمثلة ألهمت الكثيرات من بنات جنسهن.

سمية علي الحسيني*

عن شذى وكوثر اللتين بددتا عتمة اليأس

ICRC

عندما حدثتهما أول مرة خيل لي للوهلة الأولى أنني أمام نزيلتي مستشفى غادرتاه للتو. كانت الصفرة تعلو وجهيهما، الأنفاس كما الخطوات ثقيلة، بينما نظراتهما لا تشي إلا بحزن غائر في مكان ما في القلب.. جسداهما المنحنيان يغوصان في جلبابين أسودين، لكن رغبتهما في الكلام شجعتني أن أسأل:

– ما العلة؟

كوثر الأخت الكبرى، أرملة في صيف عمرها فقدت زوجها أثناء خروجه المعتاد إلى عمله اليومي.. كان ذلك في فترة الاقتتال الطائفي.

تعيل **كوثر** صبيين وفتاة، وكان واضحًا أن بقايا العيش الطيب انسلت من بين أصابعهم... كان والدهم قبل رحيله يدير تجارة صغيرة.

شذى، الأخت الصغرى التي ما زالت في ربيع عمرها، أرملة هي الأخرى.. زوجها هو الابن الأكبر لخالها. قتل أيضًا في تلك الأحداث التي سببها الاقتتال الطائفي.. وصدمة كهذه دفعت خالها ووالد زوجها إلى نبذها..

شذى أم لبنتين، الصغرى لا تعرف النور، ومما زاد في ظلمة عالمها هو حرمانها من شقيقتها الأكبر سنًا، التي استبقاها الجد معه ورفض أن تأخذها والدتها معها، وكأنه عقاب آخر عليها أن تتحمله دون أن تقترف ذنبًا.. وأمام حال كهذه، لم يكن أمام شذى إلا أن تلجأ لأختها التي ليست بأحسن حال منها..

لا أب، لا خال، لا عم، لا أخ، ولا زوج، لا أحد تمامًا...فقط **كوثر** و**شذى**، **كوثر** ملاذ **شذى**، و**شذى** هي كل ما لـ**كوثر**.. يغطيهما وأبناءهما سقف شقة قديمة، بالكاد تكفي لشخصين فقط.

تقول **كوثر**: «**ترك ولداي مدرستهما ليعيناني.. أما ابنتي ذات السبعة عشر عاما فطلبها للزواج قريب لنا، فوافقت كي أخفف من بعض أثقال الحياة التي أحملها على كاهلي.. هو شاب طيب يعمل.. وسيعيلها**».

استرسلت قائلة: «**أعتاش وأختي على بيع بعض المواد المنزلية، والأغذية الجاهزة.. أدور ببضاعتي القليلة على البيوت.. وأطرق الأبواب مع ولدي عبدالله.. أعمل منذ الصباح حتى العصر، ثم أعود منهكة القوى يسبقني عبد الله لفراشه كي ينام.**

لا يكفي ما أجنيه من مال لي ولأختي، ولا أعلم كم من الوقت سأصمد هكذا».

كان لقائي هذا بالشقيقتين **كوثر** و**شذى** في ربيع العام 2009 قبل أن تمد اللجنة الدولية للصليب الأحمر يد العون لهما... بعد ذلك اللقاء بستة أشهر، التقيت بهما ثانية في مركز منظمة المساعدات الصحية للمجتمع المدني العراقي. في البدء لم أستطع التعرف إليهما، إذ رأيت **كوثر** و**شذى** أخريين تمامًا، رأيت سيدتين تتحدثان بثقة وصلابة وكأنهما حجرا رحى، طحنتا كل أثر للحرب، فغدتا تزهوان بوجهين أبيَّين تعلوهما حمرة خفيفة، ربما هي انعكاس لزهو قلبيهما أو ألوان ثوبيهما.

تحدثت **كوثر** عما جرى لهما، بعد أن أمدتهما اللجنة الدولية برأس مال ليبدآ بعد ذلك مشروعًا صغيرًا لبيع تجهيزات منزلية..

تقول: «**استأجرنا دكانًا صغيرًا في البناية المجاورة لتلك التي كنا نسكن فيها، وبدأنا بتجهيزه بالرفوف والعارضات المبردة، وبمولد للكهرباء ومصابيح إنارة وغيرها، لكن، وقبل أن نكمل التجهيز، هددنا مالك البناية بالطرد إذا لم ندفع له مبلغا كبيرًا من المال.**

بحثنا عن سكن آخر؛ فعدنا إلى المدينة التي ولدنا فيها.. وهناك تمكنا من العثورعلى دار قديمة تعود لأحد أقربائنا.. باعنا قسمًا صغيرًا منها، لي ولأختي وشاركتنا والدتي أيضا ببعض المال.. استأجرنا دكانًا آخر، أجرته أقل كلفة في منطقة سكننا الجديد، وأعدنا تجهيزه بالرفوف والمصابيح والعارضات والمولّد الكهربائي».

تشرح **كوثر** طبيعة عملهما فتقول: «**نصنع الكعك في البيت، ونقوم ببيعه في الدكان، المواد الأولية التي نشتريها هنا أقل سعرًا مقارنة بما كنا نشتريه في منطقة سكننا السابق، الحليب والبيض هنا أفضل وأجود لأننا نسكن في منطقة ريفية.. عملنا الآن أكثر تنظيما عما كان عليه أول الأمر.. نبيع كل ما يحتاجه المنزل، من مواد وأدوات المطبخ، ومواد التنظيف، والأغذية المعلبة.. وكذلك بعض القرطاسية ... لا نشعر بالتعب عندما يحين موعد عودتنا إلى الدار مساءً. وبمساعدة الولدين، نكمل عملنا في حساب الدخل والصرف والتخطيط لشراء ما يلزم من بضاعة للأيام التالية**».

استطاعت **شذى** إعادة صلتها بخالها لتكون مع ابنتها الكبرى من جديد، ونجحت في أن تثبت للجميع أنها ليست عالة تطلب الإحسان منهم، بل هي أم قوية بإمكانها أن توفر لابنتيها واقعًا كريمًا ومستقبلًا واعدًا.

كلتا الأختين أحسنتا استغلال الفرصة التي قدمتها لهما اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الوقت المناسب. أعادتا ترتيب حياتيهما بإرادة مستقلة، وشعور عال بالمسؤولية دفع بأبنائهما وعائلتهما، وكل الذين يحيطون بهما لأن يفخروا بصحبتهما وأن يتعلموا من تجربتهما الكثير ■

* موظفة في برنامج النساء والحرب في بعثة اللجنة الدولية في بغداد

نفيسة المليك: رائدة النسوية في السودان صقلها الهمّ الوطني

زحل الطيب*

عرفت كرائدة في مجال التعليم، وناشطة في العمل العام، ومؤسسة لأولى التنظيمات النسائية الاجتماعية، إنها **نفيسة أبو بكر المليك**، من رائدات التعليم في السودان. نشأت في كنف أسرة متعلمة في ظل والد –الشيخ **أبو بكر المليك**– ذاع صيت تضحياته في سبيل التعليم، وترحاله بين مدن السودان للهدف ذاته.

تلقت **نفيسة المليك** تعليمها الأولي في سن مبكرة في مدينة **رفاعة** وتخرّجت من رحم أول دفعة في أول مدرسة متوسطة للبنات في السودان. دخلت المرحلة المتوسطة ولم يتعد عمرها الثماني سنوات. وقد التحقت نفيسة بكلية المعلمات، ونالت شهادة الماجستير من جامعة **مانشستر** في العام 1990، ثم منحت الدكتوراه الفخرية من «**جامعة الأحفاد**» في أم درمان لإسهامها في قضايا المرأة.

بدأت العمل في العام 1947 وكونت مع زميلاتها المعلمات أول تنظيم نسائي ثقافي. وقد عملت في جميع المستويات، بما في ذلك مدارس والدها. تلميذاتها نهلنِ منها المهنة لحرصها على ذلك في وقت لم يكن فيه تعليم البنات مقبولا اجتماعيا لدى كثير من عوائل السودان إلا أن نفيسة المليك عملت مع رفيقاتها على قيام اتحاد المعلمات. فقد وزعن دورياته، ومنشوراته الفكرية، وطلبات العضوية في جميع أنحاء السودان بمساعدة مشرفات التعليم إلى أن انتشرت الفكرة في جميع بقاع السودان بعد أن ساهمت نفيسة ورفيقاتها الرائدات من خلاله بالدور التنويري والتثقيفي للمعلمات والمجتمع، حتى تحول الاتحاد إلى نقابة مهنية للعمل العام تولت هي رئاستها عام 1950.

ظل اتحاد المدرّسات يقوم بدور ثقافي واجتماعي واسع برز عبر إقامة مكتبة متنقلة جابت جميع أنحاء السودان. وكان للاتحاد دور في العمل العام بعد أن خاض معركة الأجر المتساوي وفتح المزيد من مدارس البنات. وقد شاركت **نفيسة المليك** في هذه المعركة بكرسي المعلم وقوميته بعيدا عن العباءة الحزبية. وقد أتاح فكر المرأة المتقد ونشاطها في العمل النسوي لها فرصة الجلوس مع كثير من الشخصيات السياسية العالمية والقطرية مثل الملكة **إليزابيث** إبّان زيارتها للسودان بعد ثورة تشرين الأول /أكتوبر 1964، والأمير **طلال بن سعود** أثناء الاجتماع التأسيسي للصندوق العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية الذي انعقد في القاهرة العام 1989. وقد استضاف الاتحاد النسائي الملوك والرؤساء أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم عام 1976 وقابل الاتحاد النسائي الرئيس **عبد العزيز بو تفليقة** وكان حينها وزيرا للخارجية، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية والأمين العام للجامعة العربية **عبد الخالق حسونة**.

شاركت **نفيسة** في كتابة ركن الاتحاد النسائي بالإذاعة السودانية، وكانت عضوا مؤسسا ومساهما وممولا لمجلة «**صوت المرأة**». وقد أسهمت بعد ذلك في إنشاء مدارس الاتحاد النسائي **بأم درمان** وشاركت في نشاطات الصليب الأحمر السوداني أثناء فترة الاستعمار والهلال الأحمر السوداني بعد الاستقلال، وبرنامج تحديد النسل، و«**المجلس السوداني للمنظمات الطوعية– إسكوفا**». وهي أول من فكر في تكوين التنظيمات التعاونية للنساء، حيث كونت جمعية ربات البيوت، وهي صاحبة مقترح إرسال مذكرة سياسية للإدارة البريطانية لإنهاء حالة الطوارئ، وإلغاء المادة 105 من قانون العقوبات السوداني المتعلق بالاعتقال الإداري التعسفي للسودانيين لفترات زمنية مختلفة دون محاكمة.

لم يكن التعليم هو الهاجس الوحيد في تفكير **نفيسة المليك** بل ظلت مهمومة بقضايا المرأة عبر الحلم بتشكيل جسم يختص بقضاياها ويعنى بهمومها ومشاكلها ومطالبها. وفي العام 1951 كتبت مقالا في جريدة «الصراحة» بعنوان «أما آن لنا أن نستيقظ؟»، دعت فيه لقيام اتحاد نسائي. وفي سنة 1962 تكللت جهودها وزميلاتها بالنجاح، وقام «**الاتحاد النسائي**»، وتولت رئاسته من 1953 إلى 1956.

كانت **نفيسة** مولعة بالأدب. وقد تأثرت بالأديب **طه حسين** الذي ترك أثره على أسلوبها من حيث كثرة التداعيات. كما تأثرت بكثير من الشخصيات السودانية المقربة إليها كوالدها **الشيخ المليك**، و**يوسف بابكر بدري**، رائد التعليم وخصوصا تعليم البنات ومؤسس «**جامعة الأحفاد**»، ومعلمتها **نفيسة عوض**، وشقيقتها **فاطمة المليك** مما جعلها تكتب عنهم: **أبو بكر المليك**: المعلم الإنسان، **يوسف بابكر بدري**: العميد الإنسان، **نفيسة عوض الكريم**: معلمتي، القدوة الحسنة هي الشقيقة الكبرى **فاطمة المليك**.

نالت **نفيسة** وسام الخدمة الممتازة، وأسهمت في وضع ميثاق العمل الوطني، وشاركت بوضع نظام اتحاد نساء السودان الأساسي ودستوره. شاركت في مؤتمر السلام في العراق، وحضرت مؤتمر المرأة الأفريقية في **عدن** عام 1970، ومثلت السودان في المؤتمر الإقليمي لنساء الخليج الذي انعقد في **الكويت** عام 1975 بمناسبة عام المرأة الدولي. وقدمت للمؤتمرين بحثا نال إعجابهم عالج وضع المرأة في السودان. كما مثّلت السودان في مؤتمر المرأة العالمي في السويد و**كوبنهاغن** عام 1978 وكينيا مطلع التسعينيات. وقد حصلت نفيسة على كثير من الجوائز كانت آخرها جائزة «**مالك عقار للمرأة**» في الدنازين في ولاية جنوب النيل الازرق.

رسالة **نفيسة المليك** إلى نساء الجيل الحالي هي الانخراط في همّ العمل العام، والمحافظة على القيم، وبناء أسرة متماسكة تنفع الوطن حتى تنشأ الأجيال متعافية من أي سوء، والعمل على إنجاح تنظيم نسائي قومي يضم نساء السودان على المستوى المحلي والإقليمي في مختلف المناطق، ويشمل النساء في جميع النقابات المهنية، ويحتضن جميع الفئات العمرية، ثم تكوين مجلس أعلى للمرأة السودانية يختص بجميع قضاياها وهمومها حتى تتحقق المساواة كاملا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا ■

Mustafa Al-Tayib / ICRC

* كاتبة وصحافية سودانية

أسمى خضر: مناهضة العنف ضد المرأة والأفكار المؤسسة له

أسمى خضر محامية معروفة ومن الأسماء البارزة في مجال القانون وحقوق الإنسان في الأردن، ومن نشطاء المجتمع المدني الذين كان لهم أثر واضح على مستوى الأردن والوطن العربي وعلى المستوى الدولي حيث عملت في هذا المجال طوال ما يزيد على ثلاثين عاما. حازت وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من جلالة الملك الحسين رحمه الله في العام 1990 عن دورها في صياغة الميثاق الوطني كما حصلت على جائزة الأمم المتحدة لمجابهة الفقر وتحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية عام 2003، وجائزة منظمة مراقبة حقوق الإنسان وغيرها من الأوسمة والجوائز وشهادات التقدير. تولت أسمى خضر مناصب عدة منها منصب وزيرة للدولة، ناطقة رسمية باسم الحكومة ثم وزيرة للثقافة، مكلفة بشؤون الإعلام وناطق رسمي باسم الحكومة.

ولدت **أسمى خضر** في قرية الزبابدة في الضفة الغربية في العام 1952 وهي أم لأربعة أبناء وجدة لحفيدين. حصلت على شهادة الحقوق من جامعة دمشق عام 1977.

انخرطت في الأنشطة ذات الصلة بالشأن العام منذ أن كان عمرها 14 سنة وكانت البدايات متأثرة بالأوضاع العامة السياسية والأنشطة الطلابية، وفيما بعد ركزت اهتمامها على قضايا حقوق الإنسان والحريات العامة من منظور قانوني ثم وجدت نفسها تتخصص بحقوق النساء والأطفال والفئات الأشد حاجة للحماية «لأنها الأكثر عرضة للظلم والأقل قدرة على المواجهة».

أثر عمل **أسمى** تأثيرا كبيرا على حياتها وشخصيتها. فهي تؤمن بأن الانطلاق من قاعدة حقوق الإنسان تمد الشخصية بصلابة وثقة لمواجهة قوى الجهل والتخلف والغبن والتمييز، كما أنها قادرة على معالجة هموم الحياة بمختلف جوانبها. وساعدها تنوع خبرتها ما بين المجتمع المدني والموقع الرسمي الدولي والإقليمي والمحلي على تكوين فهم أعمق ورؤية

هالة شملاوي وربى عفاني*

أكثر شمولية للأمور. تقول **أسمى** «**إن تجربتي الحياتية لم تكن سهلة بل كانت مكلفة ومليئة بالتحديات. ولم تخلُ المسيرة من الأخطاء والهفوات والمتاعب لكن العبرة تكمن في الاستفادة من هذه الهفوات لتعديل المسيرة بحيث تكون مفيدة للذّات وللأسرة والمجتمع**».

فالحياة هي مجموعة من الخيارات والتضحيات هكذا تراها **أسمى** «**أنا شخصيا سعيت أن أخلق نوعا من التوازن. كان ليفرحني كثيرًا أن أقضي وقتا مع أطفالي أو أصدقائي أو بين أحضان الطبيعة، ولكن في الوقت نفسه يفرحني أن أرى إنجازات تتحقق وتغييرا يحدث على أرض الواقع ومشكلات تحل. إن التوصل إلى حالة من التوازن والسلام الداخلي والرضا يشكل حافزًا للمزيد ويضاعف الإنتاجية التي أجدها تزيد تحت الضغط**».

رغم أن طموحاتها ما زالت أكبر بكثير مما أنجزته تعتبر **أسمى خضر** أنه «**من العدل القول أن هناك تغييرا إيجابيا كبيرا شهده وضع المرأة في المنطقة العربية خاصة في مجال التعليم وهذا الأمر ينطبق بشكل عام على المنطقة العربية وبشكل خاص على الأردن**».

إذ تعتبر **أسمى** أن تعليم المرأة، هو المفتاح الأساس لتقدم وضعها. وهي ترى أن المرأة العربية اليوم دخلت كافة مجالات العمل، ولم يعد أحد يعارضها أو يحظر عليها دخول مجال السياسة أو الاقتصاد أو المهن أو العلوم وشغلت مختلف المناصب القيادية لكن ذلك لا يعني بالنسبة لـ**أسمى** «**أننا أنجزنا كل ما نصبو إليه، فما زالت أشكال متعددة من التمييز والممارسات المنحازة قائمة وما زال العنف ضد المرأة بأشكاله المختلفة شائعًا، وما زالت عقبات ثقافية وفكرية واجتماعية عديدة تحول دون تمتع المرأة الكامل بحقوقها الإنسانية وما زالت ملايين النساء يعانين أضعافا مضاعفة بسبب ظروف أمنية وسياسية وعسكرية في بلدانهن مثل الاحتلال في فلسطين والوضع في العراق والسودان واليمن ولبنان والسعودية، وما تزال النساء عرضة لتهديدات الأزمة الاقتصادية وظروف الفقر والجهل والمرض والبطالة**».

وترى **أسمى خضر** في «**الفكر الذكوري الأبوي التسلطي**» أحد أبرز التحديات التي ما زالت تواجه المرأة في البلدان العربية. تقول **أسمى** «**إن هيمنة هذا النمط من التفكير والسلوك ما زال يلقي بظلاله السوداء على حال ملايين النساء ويعيق تقدمهن وتقدم مجتمعاتهن، وهو منحى تسلطي أراه لا يختلف عن غياب الديمقراطية السياسية في المجتمع، فالدكتاتورية السياسية تشبه في آلياتها وتطبيقاتها التحكم الدكتاتوري التسلطي الاجتماعي كما تتجلى في العلاقة بين الذكر والأنثى في المجتمعات التقليدية الأبوية، وهذا النمط ما زال قائما وله آثاره على طبيعة العلاقات في الأسرة وعلى التقسيم التقليدي للأدوار ويشكل الأساس لمختلف أشكال التمييز والعنف**».

وتلفت **أسمى** إلى أنه وحتى وقت قريب، كان التدخل في حالات العنف الأسري محظورًا على الشرطة أو المنظمات غير الحكومية أو الدولة أو القضاء وكان يعاب على المرأة لجوؤها إلى أي جهة لطلب المساعدة. هذه النظرة تغيرت تدريجيًا في الأردن حيث أصبح هناك، منذ ما يقل عن 20 سنة، دور إيواء للنساء والأطفال لحمايتهم من العنف الأسري ووجدت مراكز وبرامج للإرشاد والمساعدة القانونية والاجتماعية والنفسية للنساء ضحايا العنف

* الأولى هي مسؤولة الإعلام والعلاقات العامة في بعثة عمان والثانية هي رئيسة قسم الإعلام في البعثة نفسها.

ICRC

وأنشئت إدارات لحماية الأسرة ومكاتب للشكاوى وغيرها من الخدمات، وتوافرت مواثيق دولية مقبولة في المجتمعات من أجل وضع حد للعنف الذي تتعرض له المرأة. كما أصبحت هناك مؤسسات وشبكات وطنية وإقليمية مثل «شبكة شمعة» و«شبكة سلمى» لمناهضة العنف ضد المرأة وفريق وطني لحماية الأسرة.

وأصبحت الحكومات نفسها تطرح حماية المرأة كجزء من برنامجها لتحقيق الأمن الاجتماعي.

إلى ذلك، وبالرغم من أن مشاركة المرأة في الحياة السياسية أصبحت مقبولة دينيا وسياسيا واجتماعيا غير أن هناك حاجة لمزيد من العمل لتأهيل النساء كناخبات ومرشحات وتهيئة المجتمع برجاله ونسائه لتقبل دور المرأة السياسي.

أما في المجال الاقتصادي، فعلى الرغم من أن نسبة النساء من إجمالي سكان الدول العربية يتراوح ما بين 47 إلى 52٪ من مجمل السكان إلا أن إسهاماتهن في سوق العمل لا تزال متدنية ودورهن الاقتصادي المعترف به لا زال محدودًا.

وإذا كانت معظم الدساتير في الدول العربية نصت على العدالة والمساواة وإفساح المجال لكل من الرجل والمرأة للمشاركة في الحياة العامة، إلا أن الواقع العملي يخالف الدستور أحيانا كثيرة بحسب **أسمى**.

ترى **أسمى** أنها أثرت في المجتمع الأردني ولكنها ليست راضية تمامًا عن الأثر الذي تركته «**فما زال هناك الكثير الكثير لإنجازه. وأنا أتمنى أن لا يفلت مجرم أو ظالم من العقاب وأن لا يبيت أحد ليلته جائعًا أو مقهورًا أو خائفًا كما أتمنى أن أرى امرأة في القضاء الشرعي أو رئيسة وزراء... أتمنى أن أرى نساء ريفيات يتمتعن بكامل حقوقهن في الإرث.. وأن يقل ارتكاب الجرائم وخاصة بحق النساء والأطفال ويتمتع كل إنسان بالكرامة والعدالة وتكافؤ الفرص وبكل الحقوق الإنسانية المعترف بها**» ■

ماهرة الدجاني: التطوع في خدمة أيتام فلسطين

نادية دبسي*

منذ العام 1962 ارتبط اسم **ماهرة الدجاني** بمؤسسة «**دار الطفل العربي**» وبمدينة القدس. فابنة العائلة المقدسية المعروفة وجدت في التعليم والارتقاء بمستوى أبناء مدينتها لاسيما الأيتام منهم المهمة التي كرست لها معظم حياتها.

تخرجت **ماهرة** من «**مدرسة المأمونية**» في القدس وعملت سنوات عديدة في حقل التعليم في الأردن وفلسطين. تقول **ماهرة** «**أتذكر عندما بدأت أول وظيفة لي كمدرسة في الخليل لم يعارض أهلي بالرغم من العقلية السائدة آنذاك، بل بالعكس شجعوني وساندوني ما عدا أخي كمال الذي كان يعارض الموضوع بشدة منطلقا من أنني ابنة عائلة كبيرة ولا أحتاج برأيه للعمل ولكن، وبعد أن رأى تأثير عملي وبعد سنوات عدة أصبح يتباهى بي ويقول: «ماهرة بعشرة رجال»!**

قضت **ماهرة** معظم وقتها في التطوع لدعم حركة المرشدات وجمعيات فلسطينية مختلفة، فنظمت مهرجانات رياضية وصيفية ونشرت كتابين بعنوان «**عالم الزهرات والمرشدات: تطوع وانتماء**» في العام 1977 و«**ألعاب المرشدات**» في العام 1980.

في العام 1962 انتخبت عضوًا في الهيئة الإدارية لمؤسسة «**دار الطفل العربي**» وكانت السيدة **هند الحسيني** قد أسست «**دار الطفل العربي**» في 25 نيسان /أبريل 1948 إثر مجزرة **دير ياسين** حيث قامت باحتضان وإيواء 55 طفلا وطفلة من الأيتام الناجين ومن ثم توسعت الدار لتضم أيتامًا فلسطينيين بغض النظر عن ديانتهم. في العام 1967 قامت دار الطفل بتخريج أول فوج من المدرسة الثانوية. وبعد وفاة **هند الحسيني** في العام 1994 انتخبت **ماهرة** رئيسة لمجلس الأمناء في العام 1995 وأعيد انتخابها مؤخرًا في العام 2009. لكن **ماهرة** أبت إلا أن تكون متطوعة في عملها لدار الطفل منذ عام 1995 وحتى الآن.

تقول **ماهرة** «**أعتبر نفسي متطوعة منذ الصغر فعندما كنت أقدم المساعدة لوالدتي كنت اعتبرها أيضًا بمثابة تطوع**».

وقد تحولت دار الطفل إلى صرح تربوي فلسطيني هام في **القدس** وهو جمعية خيرية تعتمد على تبرعات أهل الخير في الداخل والخارج من اجل دعم مشاريعها وتنمية المؤسسة. وبعد أن بدأت الدار بغرفتين في سوق الحصر بالبلدة القديمة، أصبحت اليوم تتألف من ستة مبان تضم الإدارة، والمدرسة، والسكن الداخلي، والمتحف، و«دار إسعاف النشاشيبي الثقافي» و«كلية هند الحسيني للآداب» ويفوق عدد طالباتها الألف طالبة بدعم وإرشاد مائة موظف وموظفة.

وتهتم المؤسسة التي تديرها **الدجاني** باليتيمات، بتوفير الحياة الكريمة لهن وتربيتهن على الاعتماد على النفس، وفتح المدارس والكليات لتشجيع تعليم البنات، والتركيز على النشاطات اللامنهجية، كما تعنى بالاهتمام بالتراث الفلسطيني من خلال المتحف الخاص بها والذي يضم مجموعة واسعة من المنتجات التقليدية الفلسطينية من أزياء شعبية وأدوات تراثية ودار إسعاف النشاشيبي الثقافي.

لكن عددا من المشاكل تواجه المؤسسة وهي بحسب **ماهرة** تكمن «**في عدم تمكننا من الحصول على التصاريح اللازمة من أجل موظفينا ما اضطرنا للاستغناء عن خدمات 26 موظفا وموظفة من الضفة الغربية منذ العام 1996. وهناك أيضًا مشكلة اليتيمات من غزة اللواتي لم يتمكن من العودة إلى صفوفهن منذ العام 1996**». وتواجه المؤسسة أيضا ضائقة مالية صعبة جدًا بحيث لا تغطي الرسوم المدرسية المتدنية التكاليف الجارية للمؤسسة.

لكن ذلك لا يمنع **ماهرة** من أن تفخر بعملها في المؤسسة وبموظفيها وبدورهم في التعليم والإرشاد وتحفيز الطالبات. كما تفتخر بطالباتها اللواتي يساهمن أيضا في نجاح المؤسسة من خلال حصولهن على علامات عالية في امتحان الثانوية التوجيهية.

كُرمت **ماهرة** عدة مرات على المستوى المحلي والدولي وحصلت مؤخرا على لقب «متقاعد مميز» من تركيا و«امرأة العام 2009» من الدانمارك ■

ICRC

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في القدس

ليندا مطر: خمسة عقود من النضال من أجل المساواة في الحقوق

سمر القاضي*

حادثة واحدة قلبت حياة **ليندا مطر** رأسا على عقب وكانت السبب في خمسين عاما حافلة بالعمل التطوعي من أجل العدل والمساواة في الحقوق بين الجنسين. "**كل شيء بدأ في فترة الانتخابات في العام 1951 حيث لم يكن للمرأة اللبنانية حق الإدلاء بصوتها أو الترشح. كنت أقف في شرفة منزلي في هذا اليوم أراقب الحركة في الشارع عندما رأيت جاري المعاق ذهنيا وجسديا ويؤخذ إلى مقر الانتخاب للإدلاء بصوته... أعطيت له ورقة وطُلب منه إسقاطها في صندوق الاقتراع وهو ما قام بتنفيذه دون أن يعرف السبب. حدث ذلك لا لشيء إلا لكونه رجلا وكان ذلك هو الفرق الكبير في ذلك الوقت**".

تتذكر السيدة ذات الخمسة والثمانين عاما كيف اجتاحها غضب عارم وشعرت بالدونية بسبب هذا الحادث. "**رأيت في ذلك إهانة للمرأة. فللرجل، حتى ولو كان معاقا ذهنيا، حقوق ينكرها المجتمع على المرأة التي تتمتع بكامل قدراتها العقلية**". كانت تلك الحادثة فارقة في حياة السيدة **ليندا مطر** جعلتها تقوم بمساعدة مجموعة من النساء الناشطات على جمع توقيعات للضغط من أجل حصول المرأة على حقوقها السياسية. وكانت الخطوة التالية هي انخراطها الكامل في النضال من أجل المساواة بين الجنسين والتحاقها رسميا برابطة حقوق المرأة اللبنانية في العام 1953، بعد مرور ستة أعوام على تكوينها. هكذا أصبحت واحدة من رائدات الحركة النسائية في لبنان وهي تشغل اليوم منصب رئيسة رابطة حقوق المرأة اللبنانية منذ العام 1978.

وقد أسفر الاستمرار في السعي من أجل المساواة في الحقوق بين المواطنين عن سن قانون يعطي النساء حق التصويت والترشح في العام 1953. ومنح القانون الذي اعتمد أولا في عام 1952 حق التصويت للمثقفات والمتعلمات فقط من النساء. تقول **مطر**: «**لقد قابلنا هذه الصيغة بالرفض وأصررنا على منح حق التصويت لجميع النساء دون تمييز تماما كحال الرجال سواء كن متعلمات أم لا.. ونجحنا في ذلك في النهاية**».

وتعتبر المرأة اللبنانية من بين أولى النساء في العالم اللواتي حصلن على حق التصويت، وهذا إنجاز كبير يحسب لمطر وغيرها من الناشطات من جيلها. جاء التوسع في تعليم المرأة وتأمين حقوقها الاجتماعية والاقتصادية في المرتبة التالية من جدول الأعمال الناشطات النسويات. من خلال الضغط على الحكومة لبناء المزيد من المدارس الحكومية للبنات في العاصمة والمناطق النائية حتى يصبح التعليم في متناول الفتيات من جميع الفئات وفي مختلف المناطق. تقول **ليندا مطر**: «**كنا نقوم بتنظيم مظاهرات يشارك فيها آباء وأمهات تواقين لتعليم بناتهم لكنهم غير قادرين على تحمل تكاليف إرسالهن إلى المؤسسات الخاصة باهظة الثمن**». ويتمتع لبنان اليوم بأعلى نسبة إلمام بالقراءة والكتابة بين النساء في العالم العربي.

وتلقي **ليندا مطر** نظرة إلى الوراء لسنوات الحرب الأهلية التي دمرت لبنان بين عامي 1975 و1990 قائلة: «**الرابطة كانت منخرطة بشكل كامل في أنشطة تحارب العنف وتساعد النازحين والأطفال على التغلب على الآثار النفسية للحرب. كما كنا نعمل على توزيع جميع أنواع المساعدات المفيدة**».

أما الإنجازات الرئيسية في مشوارها الطويل كإحدى الناشطات في مجال حقوق المرأة، تقول **مطر** «**لعل أهم إنجاز هو أن مسألة حقوق المرأة، سواء كانت على المستويات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، أصبحت الشغل الشاغل وقيد النظر في جميع الأوقات بعد مرور سنوات عديدة من التجاهل والإهمال**». لكنها تضيف «**بالرغم من أن الكثير قد أنجز بالفعل، فهناك أشياء أكثر بكثير بحاجة إلى أن تتحقق**». وأشارت إلى أن اهتمام الرابطة ينصب حاليا على قضايا رئيسية من بينها حق المرأة اللبنانية المتزوجة من أجنبي في أن تمنح جنسيتها لأطفالها وحصة تمثيل المرأة في البرلمان والبلديات.

لا تزال السيدة **ليندا مطر** في قمة النشاط والحيوية وهي في سن الخامسة والثمانين، وقد أصبح العمل الشاق جزءا لا يتجزأ من حياتها منذ الطفولة عندما اضطرت وهي في سن الثانية عشرة للعمل في مصنع للجوارب لمساعدة أسرتها إلى جانب حضور الفصول المسائية لمواصلة تعليمها. وفي العام 1995، تم اختيارها من قبل المجلة النسائية العالمية «**ماري كلير**» من بين «**مائة امرأة حفزن العالم**» فكانت المرأة العربية الوحيدة على القائمة. وهي حصلت عام 2002، على وسام من سيدة لبنان الأولى في حينه **أندريه لحود** بصفتها «**ناشطة رائدة في مجال حقوق المرأة**».

للسيدة **ليندا مطر** ثلاثة أبناء وثمانية أحفاد وسبعة من أبناء الأحفاد ■

ICRC

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

فاطمة العاقل: ترسم الأمل لمن حرم نعمة البصر

عدنان حزام*

تعتبر فاطمة العاقل من رائدات العمل الإنساني في اليمن. فهي تجاوزت محنة فقدان البصر لتكون عضوًا فاعلاً في المجتمع اليمني وخاصةً فيما يتعلق بالكفيفات. عملت **فاطمة** على إنشاء أول جمعية تعنى برعاية الكفيفات، جمعية «الأمان» لرعاية الكفيفات عام 1999.

تعتبر **فاطمة العاقل** المرأة «**جزءًا من نسيج المجتمع تعكس اهتماماته وثقافته ومنهجيته، ودورها مثل دور الرجل. لكن وبالنظر إلى الواقع اليمني فلا تزال المرأة تعاني الكثير بسبب انتشار الأمية والفقر وتدني المستوى الصحي**».

وهي ترى أن المرأة اليمنية كغيرها من أفراد المجتمع «**وجدت السبيل إلى تحسين أوضاعها وقد ساعد على ذلك اهتمام المنظمات الدولية والجهات المحلية بالأخذ بيدها والارتقاء بها من خلال رفع مستواها التعليمي وإلحاقها بسلك العمل والنهوض بوضعها الاقتصادي وهو من حسن حظها وإن كانت ما تزال تعاني من تمييز المجتمع ضدها... ولا تزال في منتصف الطريق وأمام المرأة اليمنية الكثير لإنجازه**».

لكن الكفيفات في اليمن، والنساء اللواتي يعانين من إعاقات جسدية أخرى، يواجهن تحديات أكبر من النساء اللواتي لا يعانين من هذه الإعاقات فهن بحسب **فاطمة** «**يعانين آلام الإعاقة الجسدية والمعنوية، فضلًا عن كونهن لا يحظين بأي اهتمام في مجتمع يتجاهلهن ولا يعينهن على تجاوز إعاقاتهن. وأهم ما يواجهه أولئك النساء تهميش المجتمع لهن وضعف قدرتهن على مواجهة الحياة وتركهن بدون سلاح العلم وكذلك شعورهن المستمر بحاجتهن للآخرين**».

وعن تجربتها تقول السيدة **فاطمة** أنها وبعد إدراكها بإعاقتها قررت أن تتطلع إلى الحياة وأن تتجاوز شعورها هذا. فسعت إلى استغلال كل ساعة بل كل دقيقة في تنمية قدراتها. تقول **فاطمة**: «**كنت مدركة أني لا بد أن أتسلح بالمعرفة والمهارات التي تساعدني على تجاوز محنتي. لم أخطط لمستقبلي كما قد يقال، ولكن عناية الرحمن هدتني إلى طريقي الذي من خلاله وضعت بصمتي على حياة كل كفيفة وكفيف. فمن معاناتي رسمت طريق الأمل والبسمة لكل قلب حرم نعمة البصر والقدرة على مواجهة الحياة. ومن إعاقتي وعجزي وجدت الحياة المنيرة لكل كفيف في اليمن**».

إذ ساعدت جمعية **فاطمة** 500 كفيفة على الحصول على الشهادة الثانوية، وما يقرب من خمس وعشرين كفيفة على التخرج من الجامعة، وعشرين كفيفة على إيجاد وظيفة. وتضم الجامعات اليمنية هذا العام 145 طالبا كفيفا، كما تم دمج 200 كفيف وكفيفة في المدارس.

ترفض **فاطمة** الاعتراف بالمستحيل «**هو غير موجود في قاموسنا، تقول، فأنا بنت اليمن المسلمة التي تنتسب لمجتمع نام ولكن ما في قلوبنا نحن المعاقات قادر على أن ينير لنا الطريق ونرى ببصيرتنا قدرة الله في خلق الكون ونرسم آفاقا لغد مشرق بإذن الله**».

لكنها تدعو المجتمع لأن ينظر إلى المعاق بعين التقدير والاحترام لا بعين الشفقة والحزن ■

* مسؤول الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء

ICRC

رنا الفارس: الهندسة المدنية ملعب الكويتيات

عدنان حزام*

ما التغيير الذي أحدثته في مجتمعي؟ تحتاج الإجابة عن هذا السؤال إلى لملمة الأوراق المبعثرة في الذاكرة للجهود السابقة التي بذلتها وأسست لقاعدة صلبة أعتقد أنني أقف عليها اليوم. فالتغيير الذي تهواه النفس يعني أن تترك، من خلال عملك، بصمة إلى جانب بصمات المخلصين من أبناء هذا الوطن المعطاء.

طريق الألف ميل بدأت عندما أصبحت عضوا في هيئة التدريس بقسم الهندسة المدنية في جامعة **الكويت**. وفي حزيران/ يونيو من العام 2004، وبانتهاء الفصل الدراسي، قامت مجموعة لا يستهان بها من الطلاب بالتسجيل في المادة التي أدرسها وأبلغوني أنهم اختاروا تخصص الهندسة المدنية بعد حضورهم لمحاضراتي وتأثرهم بها. فمن خلال مقرر «مقدمة في الهندسة» يتم، على مدى فصل دراسي كامل، استعراض مختلف التخصصات الهندسية التي تدرسها جامعة الكويت حتى يتسنى للطالب المستجد تحديد التخصص الذي يرغب به. أعتقد أن التأثير في مجموعات من الطلبة وتوجيههم هو غاية التأثير الذي يمكن أن يحدث تغييرا فاعلا في المجتمع. وهذا التأثير، كان من خلال أسلوب تدريس المادة والتعامل والتفاعل مع من هم في مقتبل العمر، وزرع القيم الاجتماعية الإيجابية التي تصقل شخصياتهم وهم يخطون أولى خطواتهم في التعلم، يجعلهم أشخاص أسوياء ورواد المستقبل وصانعي التغيير للأفضل.

وكان النجاح الثاني في دوري في دفع العديد من الطالبات نحو هذا التخصص وقد وجدن في أستاذتهن قدوة لهن، وهو ما عبرت عنه الكثيرات منهن بالقول أنه «**مادمت قد استطعت النجاح في هذا المجال فذلك يعني أننا قادرات على تحقيقه كذلك**». وحتى يومنا هذا، مازلت أتواصل مع طلبتي الذين أخلصت لهم وأخلصوا لمستقبلهم. وبناء على ذلك حصلت على جائزة التدريس المتميز بالكلية. وقد كان النجاح الذي يليه بحصولي على المركز الأول لأفضل مقرر الكتروني تعرضه الكلية ولم تكن هذه نهاية المطاف مع طلابي وطالباتي فقد حصلت على المركز الأول كأفضل عضو هيئة تدريس على مستوى جامعة **الكويت** في استفتاء للطلبة عبر شبكة الإنترنت.

أشرفت أثناء عملي كعضو هيئة تدريس ولمدة أربع سنوات متتالية على فرع جامعة الكويت الطلابي «للجمعية الأمريكية للمهندسين المدنيين»، ويا لها من سنوات ممتعة لم أجد الوقت الكافي فيها للاهتمام بنفسي وممارسة هواياتي، لكنني اعتبرت هذا العمل هواية فأحببته وأخلصت فيه ما حقق نقلة نوعية في الأنشطة مع الطلبة خلال تلك السنوات، ما أثار إعجاب الزملاء أعضاء هيئة التدريس وتوجت تلك المرحلة بحصول فرع الجامعة على جائزة أفضل رائد لفرع طلابي من الجمعية الأم.

في حزيران/ يونيو من العام 2008 بدأت الانخراط بالعمل الإداري بعد تعييني مساعدة لنائب مدير الجامعة للتخطيط ثم مديرة للبرنامج الإنشائي في أيلول/سبتمبر 2009 ومهمتي إدارة مشروع مدينة **صباح السالم** الجامعية، وهي مدينة جامعية ضخمة بل تعد من أضخم المشاريع على مستوى الشرق الأوسط إن لم تتجاوز ذلك إلى العالمية، حيث تستوعب 40 ألف طالب وطالبة وعشرة آلاف عضو هيئة تدريس وهيئة أكاديمية مساندة وإداريين بكلفة المليار وخمسمائة وسبعة وتسعين مليون دينار كويتي مضافا إليها معدلات التضخم، حيث تمتد المدينة الجامعية تلك على رقعة من الأرض تبلغ مساحتها ستة ملايين متر مربع ويقوم بتصميم مبانيها وكلياتها كبرى المكاتب الاستشارية الهندسية العالمية؛ وكمدير للبرنامج الإنشائي يتركز عملي فيه على متابعة أعمال المشروع كوني المهندس المخول من الجامعة لإدارة المشروع...

وقد نشطت مؤخرا في مجال أبحاث الهندسة الجيولوجية البيئية وتحديدا إعادة تأهيل مكبات النفايات في الكويت والعمل على تطبيق التصميم الأمثل صحيا لردم النفايات بأحدث الأساليب الهندسية. كما تشرفت في كانون الثاني/ يناير الماضي بنيل ثقة معالي النائب الأول وزير الدفاع **الشيخ جابر المبارك الصباح** باختياري عضوا في مجلس إدارة الهيئة العامة للبيئة، تلك الهيئة المتخصصة بمراقبة الوضع البيئي للدولة، وسأعمل جاهدة مع زملائي على تصحيح الوضع البيئي لوطننا الغالي حتى نهنأ ببيئة صحية لنا وللأجيال القادمة إن شاء المولى الكريم ■

ICRC

مريم البلوشي: إماراتيات صاحبات عزيمة ورغبة في التغيير

تواجه النساء، حين يقررن خوض مشوار الحياة المهنية، تحديات جمة تزيد في حال كان المجال الذي اخترنه مقتصرا لفترة طويلة على الرجال ولم تطرق السيدات بابه من قبل.

كنت، وكأي خريجة جديدة، أتأمل الواقع والمجتمع الذي أعيش فيه وما يفرضه من قواعد وقوانين بعضها محبط والتي تغيرت اليوم فنتذكرها ونضحك على تلك الأيام.. فأنا من جيل عرف أن التحدي الحقيقي سيكون بأن نثبت لمجتمعنا المتميز بخصوصيته قدرتنا كفتيات على الإنتاج والإبداع ونحول كل تحد من شأنه أن يجعلنا نتراجع إلى سبب للاستمرار..

بدأت العمل في مجتمع كله رجال وقد أخافني ذلك في البداية بعض الشيء غير انهم، وبعد أن تجاوزوا مرحلة اختباري، كانوا السند الأول والمشجع لي لأتعلم وأطور مهاراتي في مجال كنت قد اخترته دون وعي مني بأنه سيكون محورا يغير حياتي ويسلط انتباه الكثيرين عليّ..

كانت الصعوبة الأولى تكمن في رحلتي اليومية التي تستغرق ساعتين ذهابا وإيابا من إمارتي إلى مدينة أخرى حيث كنت أستكمل دراستي التخصصية. لكن ذلك كان أيضا تحديا أثبت من خلاله لمجتمعي العملي أن الفتاة إن أرادت فلن يعيقها شيء حتى ولو حاربها الجميع لجهلهم ماهية تخصصها.. فهم يفهمون أن يكون الإنسان مهندسا مثلا لكن كثيرين لا يعلمون بوجود تخصص يهتم بشؤون البيئة كحال تخصصي.

فأنا وزميلات كثيرات مثلي، ومن خلال توجهنا لتخصصات تحتاجها الدولة، أثبتنا أن الفتاة كما الشاب الإماراتي إنسان منتج وقادر على العطاء وهو بعيد كل البعد عن صور نمطية تصورنا كأفراد لا نعمل أو لا نستطيع أن نعطي بإتقان بل على العكس من ذلك، من خلال تخصصاتنا وعملنا يمكننا أن نغّير المجتمع..

في يوم ما كنت مهمشة وكان تخصصي مازال وليدا واحتاج الأمر بضع سنوات ليصل هذا المجتمع إلى قناعة بحاجته لمثل هذه التخصصات.. وقد كنت ولا زلت البيئية الوحيدة في مقر عملي، واستمراري في التصدي لكل من كان يرغب في قتل هذا التخصص هو ما جعله يستمر وينمو..ففي بعض الأحيان كنت أشعر أنني عاطلة عن العمل في مقر عملي، وعرضت علي فرص كثيرة بمسميات وظيفية كبيرة لكن قناعتي الشخصية بأن أعمل في مجال اخترته وأحبه جعلتني أرفضها وكانت السبب في التقدم الذي احرزته اليوم.. ويمكنني أن أدعي أن ذلك أحدث تأثيرا غير مباشر في من حولي وحتى في من طلب مني ترك هذا التخصص. الإصرار دائما ما يغير من حولنا ومجتمعاتنا، ومجتمعي تغير بعد سنوات واصبح يعترف ويؤمن ولو بنسبة صغيرة بما أحب وأريد.. تحديات كثيرة ما تزال موجودة قد تثبطنا لكننا ولدنا لنكون مقاتلين وأصحاب عزيمة في الاستمرار..

هل أثرت في المجتمع؟ ربما. ربما أصبح الناس يفهمون تخصصي أكثر والمشوار طويل أمام من هن في وضعي لتحقيق كل ما نرغب فيه لكن الاحترام فرض والكل يشجعنا اليوم على الاستمرار فيما اخترناه بعد أن أصبح جزءا من استراتيجيات الدولة.. ولنا الفخر أننا صمدنا ■

ICRC

هالة الصراف: تجربة من أجل حياة صحية أفضل للعراقيات

عناصر مهمة كثيرة كان لها دور في رسم شكل حياتي؛ عائلتي، تعلقي بوطني العراق والسعادة التي تغمرني عندما أعمل مع الناس بصورة مباشرة، ورؤية ما تنجزه المهارات والخبرات الوطنية في المجتمع العراقي.

الرجل في حياتي، كان وما زال القوة التي تدفعني باتجاه العمل المتفاني، والسعي باتجاه بيئة معرفية.. والدي الراحل، وزوجي الحبيب كان لكليهما الفضل في الصورة التي أنا عليها الآن، وفي المستقبل..

بدأت حياتي المهنية في العام 1998 بعد حصولي على البكالوريوس، وعملي في منظمة الصحة العالمية من خلال مكتبها في العراق بوظيفة مساعد تقني.. وتعلمت من خلال نظام المهنيين الموهوبين، فضلًا عن الخبرة التي اكتسبتها في إدارة وتنظيم البرامج الصحية بفضل موظفين محليين ودوليين كانوا يعملون في العراق آنذاك.

في أعقاب أحداث العام 2003 وما نتج عنها من أزمة إنسانية، قررت تعزيز خبراتي عبر انخراطي في دراسة أكاديمية تطلبت مني التسجيل في 14 فصلًا دراسيًا أكاديميًا للحصول على الدبلوما الدولية في المساعدة الإنسانية؛ حيث درست وتمرنت، وعملت على تطبيق قانون سلوك للعمل الإنساني في كل شيء أقوم به منذ ذلك الحين. وباعتقادي هنا كانت نقطة التحول في حياتي، والتي جعلتني في الغالب سعيدة وفخورة بكل ما أقوم به.

بين العامين 2005 و2007، حصلت على الماجستير من جامعة **كولومبيا** في الولايات المتحدة الأميركية عن إدارة الصحة والسياسة الصحية. تفكيري كان منصبًا على أن العراق خرج من أزمة، وعلينا أن نعمل على بنائه، وأن نودع الحرب والصراع إلى الأبد.

لكن النزاع الداخلي جاء بعد ذلك ليشكل صدمة لي خلال سنوات دراستي. في تلك السنوات، تُرِك العراق، من جديد، بلا منظمات دولية يمكنها العمل فيه. ومن جديد أيضًا، وجدنا أنفسنا نواجه إخلاء موظفين دوليين عملوا بفاعلية في العراق.. عند هذه النقطة، قررت تأسيس منظمتي الإنسانية الوطنية «**منظمة العراق للمساعدات الصحية**» للعمل بشكل مباشر وسريع في البلاد.

لم يكن الأمر صعبًا علي، ولا على زملائي طالما أننا جميعًا نشطون وجادون. وكانت لنا تجارب عمل مع مختلف المنظمات، لذا، فما المانع من أن نعمل مباشرة من أجل أهلنا العراقيين إذ كان بمقدورنا تشخيص المرض والتفكير في العلاج؟.

كنا على بينة أن ما نقدمه من كفاءة في الإنجاز لا بد أن يُعترف بها، لذا قمنا بوضع معايير عالية المستوى لعملنا، وفي الكثير من الأوقات تحدينا أنفسنا لنثبت أن بإمكاننا الوصول إلى كل أولئك الذين يحتاجون إلى الدعم الذي نقدمه، لأننا، ببساطة نعرف أننا، إذا كنا عاجزين عن دعمهم، فهؤلاء الناس لن يجدوا دعما في مكان آخر..

واستنادًا إلى ما كنا نؤمن به، أصبحت المناطق الحمراء الساخنة، ومناطق الصراع وغيرها هي ميادين عملنا.. وقد يسأل أحدهم: لماذا العمل في مناطق ساخنة كهذه ومنظمتكم غالبيتها من النساء؟ .. الجواب عن ذلك بسيط جدًا وهو شعورنا أننا في خطر أقل نظرًا لكوننا نساء، وجهدنا الرئيسي مكرس للنساء. فمن أفضل من المرأة يمكنه أن يشفي الجراح..؟

وفي اعتقادي أن المرأة نادرًا ما تشن حربًا، فالحرب في حد ذاتها نزعة ذكورية. وكثيرة هي التقارير والوثائق التي تنشر في الإعلام عن تأثير الصراعات على المدنيين، ويأتي النساء والأطفال في مقدمة المتضررين. لذا وجدنا أنه من الطبيعي أن نكرس عملنا من أجل حياة تنعم فيها النساء بالأمن والصحة، لاسيما أنه كان للحرب أثر كبير على كل النساء في العراق، سواء أكُنّ من نخبة المجتمع، أو المتعلمات، أو أولئك القاطنات في القرى ممن لا يزلن حبيسات مجتمعاتهن.

فعملي هو طريقة للعيش. أي أن عملي واهتمامي بعيش مشكلات المرأة وتقديم الدعم من أجل حلها لاسيما تلك المتعلقة بالحاجة إلى الخدمات الصحية وتوفير معدات الولادات المنزلية النظيفة لأولئك الذين يعيشون في مناطق ريفية أو شبه ريفية في العراق. فتحسين الرعاية الصحية بمقدوره أن يمكن النساء من توفير دخل لعائلاتهن.

فقد قادتني ملاحظاتي وتجربتي في العمل، إلى أن العامل الاقتصادي غالبا ما يكون السبب الرئيسي في إقصاء النساء وهجرهن للدراسة، وبإمكان هذا العامل أن يدفع باتجاه الحرب أو السلام، وبالتالي فإن تحسين الظروف الاقتصادية هو العلاج للعراق وعنصر تغيير مهم في مجتمعاتنا...

وقد لاحظت أن المشاريع الصغيرة التي تديرها النساء، تنجح في إنقاذ بعض العائلات وتحسين مستواها المعيشي، وتبني الثقة في قيادة المرأة للأسرة، وترفع معنوياتها وتعيد إليها ثقتها بنفسها وبمستقبلها.

فتمكين المجتمع اقتصاديًا وتحسين مستوى المعيشة بإمكانه أن يحل أكثرية القضايا وسيكون له أثر مباشر على الانخراط في المدارس، والتخفيف من الضغط النفسي الذي يثقل كاهل العائلات..

وأكثر ما يلامس قلبي هو العمل مع نساء بسيطات كادحات حققن النجاح في حياتهن. رغد هي إحدى هؤلاء النسوة. انتظمت في دورة أقمناها أوائل العام 2008، وأصبحت الآن نظيرتي الحكومية في منطقة تدير فيها منظمتنا أحد مشاريعها.. فقد أكسبها برنامج إعادة التأهيل الذي شاركت فيه، معرفة لتطوير قابلياتها المعرفية وثقتها بنفسها. واليوم تدهشني هذه الثقة بالنفس التي أراها فيها وهي تتفاوض مع منظمتنا..أمثال رغد تزيد قناعتي بصحة ما أقوم به ■

عزيزة عثمانة: أميرة الإحسان والحرية

صحيح أن المجتمعات العربية بشكل عام هي مجتمعات ذكورية بالأساس، ويسيطر فيها الرجال على كافة مجالات الفعل والمعنى لكن التاريخ الاجتماعي العربي عرف شخصيات نسائية استثنائية، لم يكن مرورها مرور الكرام ونجحت في نقش بصماتها في ذاكرة التاريخ. نساء غير عاديات يظهرن من زمن إلى زمن تاركات رسالة مميزة مفادها أن المرأة قادرة على الفعل والتأثير في محيطها إلى أبعد الحدود... إلى درجة تستحق فيه الخلود والأبدية وأن تكون مثالا يُروى ويُعتد به ومصدرا للفخر وللقيمة.

وتونس، هذه البلاد التي تعرف فيها المرأة اليوم مكانة خاصة ومتقدمة من ناحية التشريعات بالمقارنة مع أوضاع النساء العربيات عامة، شهدت تاريخا مميزا لم تكن فيه المرأة غائبة ولا مهمشة. ففي العهد الإسلامي ظهر طيف "**أم البنين**" **فاطمة الفهرية** التي ورثت مالا كثيرا فقررت تسخيره للأعمال الخيرية وعلى رأسها مشروع بناء مسجد. كما أن الأميرة الحفصية "**عطف**" اشتهرت بمشاريعها الخيرية ومنها جامع "**الهوا**" المعروف بعمارته التونسية الأصيلة .

أما السيدة التي ذاع صيتها وظلت شامخة الذكر والأعمال، فهي الأميرة **عزيزة عثمانة بنت أبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان داي** التي رأت نور الحياة في النصف الأول من القرن السابع عشر أي حوالي سنة 1606 ميلادية.

نشأت **عزيزة عثمانة** حفيدة حاكم تونس الشهير **عثمان داي** في قصر جمع بين الثراء وعلامات الرخاء والرفاهية والخدم الكثير وبين التقوى والتواضع الشديدين. فالأميرة **عزيزة عثمانة** لم تطلق العنان لحياة البذخ ولم تجرفها ملذات الحياة وهي الأميرة التي لا يُرفض لها طلب، بل كانت ذات ملامح هادئة ومتأملة وشديدة التعلق بالتعاليم الدينية الإسلامية، الشيء الذي جعل حياة الأجواء الصاخبة والاحتفالات المتبرجة المظاهر لا تعني لها أي شيء يذكر.

كانت **عزيزة عثمانة** ترى الحياة من منظار مختلف: منظار العمل وكيفية تقديم المنفعة للآخرين. وهيمن على تفكيرها وشخصيتها مفهوم الصلاح فكانت ميالة إلى أن تصبح صاحبة مشروع في الحياة، لا أن تكتفي بلقب الأميرة وتغدق سنوات عمرها في الأيام الملاح، فتكون بذلك على هامش الحياة التي ترتضيها. لذلك فهي لم تغتر بجمالها وأقبلت على وصايا أبيها أبي العباس أحمد الذي عيّن لها الفقهاء وأهل العلم والأدب، فكانت استجابتها للمعرفة عالية وتعكس عمق الجدية التي تتصف بها عزيزة عثمانة.

من يتأمل ميول **عزيزة عثمانة** والأعمال الجليلة التي قامت بها يلحظ أنها كانت شديدة التعلق والإعجاب بجدها

عثمان داي فكأنها تطمح إلى أن تكون الحفيدة اللائقة بالجد الذي ذاع صيته في تاريخ تونس. فقد احتضن **عثمان داي** المهاجرين الأندلسيين الذين طردهم الملك **فيليب الثالث** سنة 1609 من أسبانيا، فمنحهم الأراضي وجنبهم دفع الضرائب حتى تقوى أمورهم ويستقروا. وقد بلغ عدد المهاجرين حوالي 80 ألف مهاجر. ويُحسب **لعثمان داي** أيضا بداية استرجاع الحضارة المدنية قواها المادية والأدبية وتمتع الأيالة التونسية بالاستقلال الفعلي.

هكذا نفهم حرص الأميرة **عزيزة عثمانة** المضاعف على أن تكون في مستوى تاريخ أسرتها العريق بل أن تضيف لذلك التاريخ ما يجعله ناصعا وطاهرا.

وقبل أن تبلغ **عزيزة عثمانة** سن الزواج وتتزوج **حمودة باشا المرادي**، شاعت عنها صورة المرأة التقية والمتدينة والمحسنة وكيف أنها برغم الجاه والنسب تجيد كل شؤون البيت بل القصر.

ولعل التاريخ المنعرج في حياة الأميرة **عزيزة عثمانة** يتعلق بمسألة حجها إلى بيت اللّه الحرام إذ تكبدت "مشاق السفر إلى الحجاز وركوب الأخطار والأهوال لأداء الفريضة فتارة على متون البحار وآونة بين لبّات الفدافد والرمال، فحجت واعتمرت وحج معها خدمها وعبيدها وحشمها".(**)

والذي سيجعل هذه المرأة الاستثنائية تدخل التاريخ من بابه الكبير هو القرار الذي اتخذته فور عودتها من أداء فريضة الحج ونقصد بذلك قرار إطلاق المماليك وعتق العبيد، وهو القرار الذي سيرفع من شأن **عزيزة عثمانة** من مستوى أميرة ميسورة الحال وترق على ضعاف الحال إلى مرتبة أميرة الحرية وبذلك تكون رائدة في مجال حقوق الإنسان وذات وعي يتجاوز انتماءها الطبقي بمسألة حرية الإنسان.

وفي الحقيقة وبالرجوع إلى المعطيات التاريخية الخاصة بتلك المرحلة، فإننا نسجل ظاهرة ازدهار نشاط القرصنة التي انطلقت منذ حكم **عثمان داي** وتواصلت مع عهد **يوسف داي**. فالقرصنة هي التي أنتجت تجارة العبيد وجعلتها منتشرة، وبالتالي فإن قرار الأميرة **عزيزة عثمانة** عتق العبيد علاوة على دلالته الإنسانية والحضارية والأخلاقية، يعكس إرادة قوية لدى هذه الأميرة لمعالجة مشاكل عصرها

آمال موسى*

* صحافية وكاتبة تونسية
** من كتاب «شهيرات تونسيات» لحسن حسني عبد الوهاب.

ومقاومتها، فقاومت القرصنة بتحرير العبيد وهو موقف يحمل أكثر من معنى وشجاعة بالنسبة إلى امرأة أميرة.

فهذه المرأة ذات الحس الجمالي المرهف والذوق العطر التي خصصت وقفا يرصد دخله لشراء أزهار كل فصل من الفصول كي توضع على قبرها في كل يوم، تتميز بإنسانية عميقة دفعتها إلى اتخاذ قرار تاريخي خلدت به اسمها في مجال المدافعين الكبار عن الحرية وعن حقوق الإنسان. ومن يتقدم خطوات إضافية في سيرتها الذاتية التي هي سيرة فعل الخير بامتياز، يشعر وكأن هذه المرأة من نساء الزمن الرّاهن وتعيش على وقع ثورة القيم الراهنة. فإلى جانب إيمانها بحرية الإنسان وأنه خلق ليكون حرا طليقا لا عبدا مملوكا، فإن سيرتها مفعمة بدلالات مفهوم المجتمع المدني من ناحية العمل التطوعي ومساعدة المحتاجين وتجسيد قيم التكافل والتضامن والإحساس بالآخر. إذ إنها سخرت مالها وأملاكها لعتق الرقيق وإنقاذ الأسرى وختان أولاد الفقراء وكسائهم وتجهيز الصبايا الفقيرات المقبلات على الزواج. كما لا تفوتنا الإشارة إلى أنه، إلى جانب عطفها الدائم على الفقراء والمساكين، فإنها لم تنس المرضى فحبست جزءا من أملاكها لمستشفى يحمل اسمها منذ العام 1960، وهو مستشفى **عزيزة عثمانة** من أقدم مستشفيات مدينة تونس ويوجد حاليا بمنطقة القصبة.

ورغم أن سجل الأميرة **عزيزة عثمانة** حافل ومكتظ بأعمال الخير والإحسان فإن هذا المستشفى ظل العمل الوحيد الذي خلد اسمها.

إن ما يثلج الصدر في سيرة **عزيزة عثمانة** التي وافاها الأجل عام 1669 وبكاها كثيرون ممن شملهم إحسانها وممن وصلتهم أخبارها الزكية، أنها أضاءت وجه الحضارة العربية والإسلامية وأظهرت أن الثقافة الإسلامية من أكثر الثقافات دفاعا عن الحرية وإحساسا بالفقير وبالمريض وأنها ثقافة أنجبت نساء عشقن الحرية والإحسان والعطاء، فكن مبشرات رائدات في مجال حقوق الإنسان وفي مجال التكافل الإنساني.

إن الأميرة **عزيزة عثمانة**، تستحق ليس فقط من مؤرخي تونس والمغرب العربي اهتماما خاصا بسيرتها وحياتها حتى نعرف عنها أكثر فأكثر، بل إن كل مؤرخي العالم معنيون بأميرة الحرية لأن القيم التي آمنت بها وجسدتها هي قيم كونية ومن حق العالم أن يتعرف إليها ■

ثلاث أخوات غيّرن نظرة المجتمع للمطربات في السودان

البلابل: فرقة نسائية ما زالت تطرب السودانيين بعد 40 عاما

قليلة هي الفرق الغنائية النسائية في العالم العربي لكن «البلابل» فريق مازال يطرب السودانيين منذ 40 عاما بل وترك بصمته في الذاكرة الشعبية لهذا البلد.

صالح الدباكة*

لم أجد طريقا للوصول إلى فرقة البلابل إلا بالاتصال بالفنان **عمر إحساس**، أحد أشهر مغني **دارفور** والسودان. أعطاني رقم **هادية**، أكبر أعضاء الفرقة الثلاثة سنا وقاطرتها. كان بعض زملاء العمل قد كلموني عن الفرقة قبل أكثر من عام بقليل. وكنت أنوي الذهاب إلى الحفلة التي كانت ستحييها بتاريخ 25 كانون الأول/ديسمبر 2008 في **الخرطوم** للمرة الأولى بعد غياب استمر نحو عشرين عاما.

«**لحسن حظك أنك لم تأت**»، قالت لي **آمال**، إحدى الأخوات الثلاث. «**كانت الشوارع الثمانية القريبة من نادي الضباط الذي يتسع لما بين خمسة وسبعة آلاف مشاهد، حيث أقيم الحفل، مغلقة تماما، وما كان بإمكانك الوصول إلى هناك**».

يومها غنّت فرقة البلابل «**رجعنا لك**»، إحدى أشهر أغنيات الفرقة العاطفية. تقول الأغنية:

رجعنالك وجينا... غفرنا إنك بالوشاية
فصدت كبد الفرحة فينا
رجعنالك وعينينا إلبكت فجعت
رموشها دموع سخينة
بفرح عودتنا رفّت، زغردت كلمات حنينة[1]

غياب عشرين عاما عن الساحة الغنائية في السودان لم يقلل من شعبية الفرقة التي بدأت عملها قبل ما يقرب من أربعة عقود. وهو أمر قد يكون بالغ الدلالة على المكانة التي تبوأتها الفرقة في الساحة الغنائية والفنية في السودان. وقد يكون اختيار الأغنية العاطفية لتكون قلب الاحتفال تلميحا إلى الكثير من الأمور التي طرأت على السودان، أولها عودة الفرقة للغناء بعد انقطاع طويل، وثانيها التغير الهائل في المشهد السوداني اجتماعيا، وسياسيا، وفنيا، واقتصاديا.

والد مثقف وراء نجاح بناته

انحدرت البنات الثلاث من أسرة **حلفاوية**[2] تعشق الرقص النوبي. وكان والدهن **محمد عبد المجيد طلسم**، مسؤولا حينها عن مدارس البنات الثانوية في جميع أنحاء السودان، ومهتما بتشكيل جمعيات أدبية في المدارس لتنشيط الحركة الفنية في البلاد. وقد أسس، أكبر أربع بنات من بناته السبع، فرقة للرقص الشعبي النوبي في الخرطوم. ولما قامت «الفرقة القومية للفنون الشعبية» التي أسسها اللواء **جعفر فضل المولى**، قائد سلاح الموسيقى في القوات المسلحة السودانية في سبعينيات القرن الماضي، انضمت البنات الأربع إلى الفرقة. ثم ما لبثت البنات الثلاث الأصغر سنا– **حياة** و**أمال** و**هادية**– أن التحقن بالفرقة نفسها. لم يكن عمر **هادية** يتجاوز الخمسة عشر عاما حين انطلقت الفرقة، وكانت **آمال** في سن الثالثة عشرة و**حياة** في الحادية عشرة من عمرها.

أعجب اللواء **فضل المولى** بأداء البنات الثلاث إلى حد أنه عرض عليهن المشاركة في تقديم مقطوعة قصيرة هي «**أريج نسمات الشمال**» شارك فيها الموسيقار **بشير عبّاس**، أحد أكبر الملحنين السودانيين، بالعزف على العود والصفير من فمه، وقد عرضها التلفزيون القومي السوداني ونجحت نجاحا كبيرا.

كان ذلك هو اللقاء الأول بين «**البلابل**» و**بشير عبّاس** الذي قام بعدها ولفترة طويلة من الوقت بتقديم الألحان للفرقة.

هكذا انطلقت أشهر فرقة نسائية غنائية سودانية. بعدها كتب فضل المولى أغنية عاطفية للفرقة بعنوان «**مشينا**» وقام **بشير عبّاس** أيضا بتلحينها. وتقول **هادية** «**إن تلك الأغنية كانت الانطلاقة الفعلية لفرقة البلابل حيث قام الأديب البروفيسور علي المَك بإطلاق اسم البلابل علينا سنة 1971**».

«**لم تكن هناك نية لاحتراف الغناء**»، قالت لي **حياة** في منزلهن الذي ما زال مكانه منذ الانطلاقة. «**لكن زيارة قمنا بها إلى أديس أبابا لعرض الغناء السوداني، إضافة إلى الاستقبال الجماهيري الحار للفرقة في السودان، وتشجيع الناس وإعجابهم دفعنا للاستمرار**».

عدد النساء من المطربين كان قليلا في السودان قبل تلك الفترة رغم وجود بعض المغنيات المشهورات مثل **عايشة الفلاّتية**. لكن أغاني النساء كانت مقتصرة على فئة معينة من النساء، كما يقول المطرب السوداني المعروف **عمر إحساس**. «**الفرق الأساسي هو أن البلابل جئن من عائلة متعلمة حيث كان والدهن يعمل بالتدريس وكان معروفا بتشجيعه للعمل الفني المرتبط بالتقاليد السودانية والفن الشعبي السوداني بكافة أطيافه**»، يقول **إحساس**. «**وهو أول من شجع بناته على العمل حيث شكل فرقة الرقص الشعبي النوبي في الخرطوم بمشاركة بناته السبع**».

ومع ذلك «**كانت البداية صعبة**»، تقول **حياة**، «**وقد وجّهت لنا الصحافة انتقادات شديدة، وخاصة أننا كنا نحرك أجسامنا مع اللحن أحيانا. لكن كان هناك الكثير من الإطراء والمديح أيضا. وكان التأييد الشعبي هائلا**».

مجموعة من الشعراء والأدباء الذين واكبوا تجربة البلابل وشجعوها أسهموا أيضا في زيادة شعبية الفرقة. «**الشعراء من أمثال إسحاق الحلنقي، علي سلطان، وسيف الدين الدسوقي فصلوا الكلمات على أعمار بنات الفرقة**» تقول **آمال**، «**وساعد ذلك في عملية تطور الفرقة ونضوجها وزيادة شعبيتها فلم يكن هناك أي ابتذال**»، تضيف **هادية** تصديقا على كلام شقيقتها.

بداية التغيير في النظرة للمطربات

شكلت أغنية «**رجعنا لك**» للمحامي الشاب **عبد الباسط سبدرات** مرحلة متميزة في حياة الفرقة إذ كانت أطول من أغنيات الفرقة الأخرى، وقد تميزت بلحن أكثر تعقيدا، وبكلمات أكثر نضوجا من الناحية العاطفية، وبعمق في المعنى. وقد أبدع **بشير عباس** في توزيع اللحن مع الكلمات. «**لم يكن من الممكن توزيع اللحن بطريقة أفضل**»، تقول **هادية**. «**لقد كان لحنا مبدعا**». وقد استخدم شطر من كلمات الأغنية لاحقا كجزء من ●●●

ICRC

* مسؤول الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في الخرطوم

(1) كلمات مولانا عبد الباسط سبدرات، وزير العدل السوداني الحالي، وكان وقتها في بداية عمله كمحام حديث التخرج.

(2) نسبة إلى مدينة حلفا النوبية القديمة الواقعة في أقصى شمال السودان والقريبة من الحدود المصرية. وتقول آمال إن حلفا القديمة قد أغرقها السد العالي.

ملصقات الفرقة وشعارها. كان لتلك الأغنية والشعبية التي اكتسبتها أثر بالغ في تشجيع نساء أخريات على العمل في مجال الغناء. وقد امتلأت الساحة بعدها بالكثير من المغنيات.

وفي عام 2008 كانت هي الأغنية التي مثلت عودة البلابل الثلاث للغناء في السودان في حفل مهيب وبهيج.

أمر آخر ترك أثرا عميقا في شعبية الفرقة في السودان وأدى إلى تغيير نظرة المجتمع لفن الغناء النسائي. «**لقد جبنا نحو 90 بالمائة من مدن السودان وقراها، وكان 99 بالمائة من ريع الحفلات يذهب على شكل تبرعات للمدارس والمستشفيات ولإقامة النوادي الرياضية والثقافية في المدارس**»، تقول **هادية**. «**كانت عائلتنا كلها تعمل في التدريس بدءا من الوالد ومرورا بالأعمام والأخوال وغيرهم**».

ثبات البلابل، ونجاحها، واستمرارها، وتغلبها على القوالب التقليدية التي كانت تمانع في غناء النساء أدى إلى إقبال العديد من النساء على الغناء والاستمرار فيه مثل **سمية حسن**، **آمال النور**، **حنان النيل**، و**حنان إبراهيم**. وتقول **آمال** إن ذلك يعود أيضا إلى أن الفرقة اختطت لنفسها خطا واضحا فيما يتعلق بأماكن تنظيم حفلاتها. «**نحن كنا نغني فقط على المسارح، وفي الإذاعة والتلفزيون ولم نكن نغني أبدا في حفلات الأعراس مثلا**». وهو ما أضفى مزيدا من الاحترام للفرقة والعمل الغنائي النسائي بشكل عام.

تزوجت البنات في مرحلة لاحقة، وهاجرت كل من **هادية** و**آمال** خارج السودان، وتغيرت الظروف السياسية في البلاد. لكن عقد البلابل لم ينفرط وإن انقطعت الفرقة لسنوات طويلة عن الغناء بحضور البلابل الثلاثة. وواصلت **هادية** الغناء في الولايات المتحدة حيث استقرت مع زوجها وعائلتها.

«**أذكر أننا أقمنا حفلة كبرى في «سنترال بارك» في مدينة نيويورك في يوم السودان عام 2007**»، تقول **هادية**. وشارك في ذلك اليوم عدد آخر من المطربين السودانيين منهم **عمر إحساس** و**يوسف الموصلي** و**على السقيد**، و**عمر بانّقا**. كان يوما مشهودا وفقا لـ**هادية** «**فآلاف الناس من سكان نيويورك كانوا يتمايلون على وقع الألحان السودانية**». وقد قام الدكتور **متوكل محمود**، وهو جراح قلب سوداني مشهور يعيش في الولايات المتحدة بطرح فكرة اليوم السوداني وتنظيمه بمساعدة مروجة أغان أميركية من أصل لبناني تدعى **دون إلدَر**. وفي العام 2008، قامت المجموعة نفسها بعروض مماثلة في مدينتي **شيكاغو** و**ديترويت**.

لكن ما الأثر الذي تركته فرقة البلابل على الساحة الغنائية النسائية في السودان؟ يجمع كل من طرحت عليهم هذا السؤال على بضع نقاط: تغيير المفاهيم المجتمعية عن المغنيات، ونظرة المجتمع للمرأة الفنانة، وبعث الروح في جيل جديد من المغنيات.

أسهم الانفتاح الذي يشهده السودان حاليا في عودة البلابل إلى العمل بعد انقطاع استمر 20 عاما. خلال تلك الفترة توجهت **آمال** إلى مكة المكرمة وأدت فريضة الحج. كبر الأطفال وأصبحوا قادرين على العناية بأنفسهم. وظهرت العديد من الأصوات النسائية على الساحة الغنائية السودانية، وأصبح الغناء النسائي فنا محترما.

تقول **هادية** «**كبر الأطفال، لذلك عدنا إلى طفلنا الأول، البكر، أي الفن**» ■

شارة مرورية ومحطة مواصلات سميت باسمهن، وشارع عبيد ختم، أحد أكبر شوارع الخرطوم وأرقاها، كان يسمى شعبيا بشارع البلابل

التقرير العربي الخامس حول تطبيق القانون الدولي الإنساني:

عشر سنوات من التعاون بين اللجنة الدولية والعالم العربي

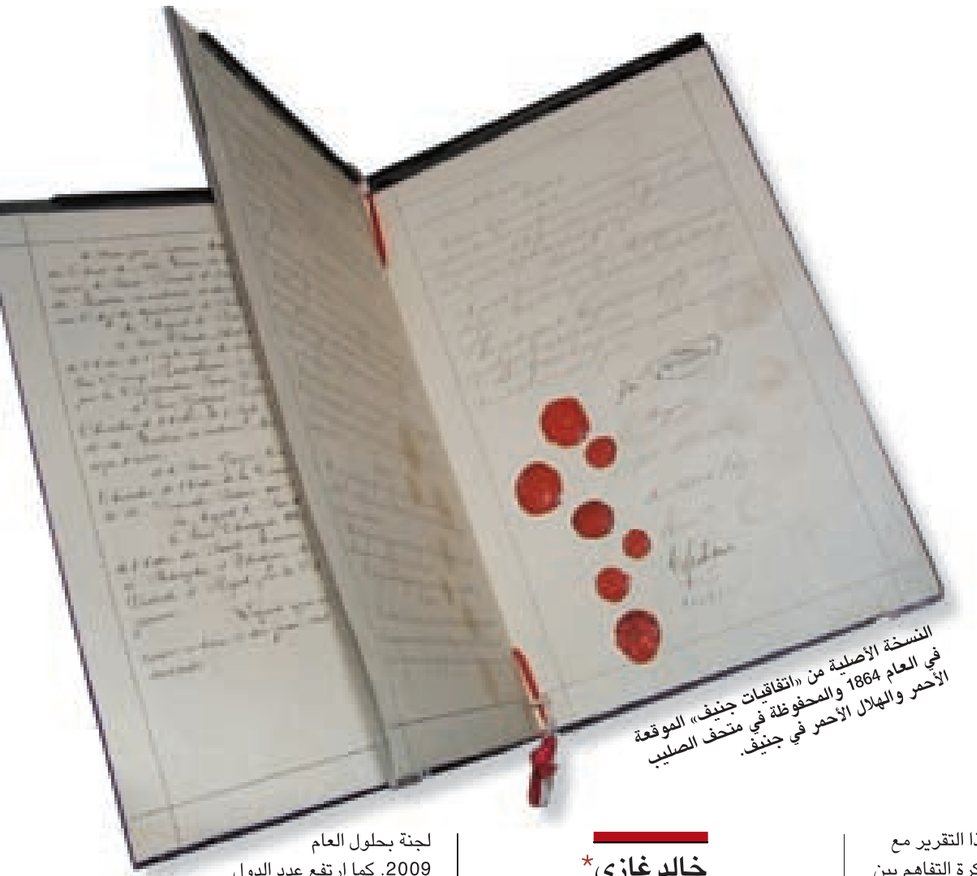

النسخة الأصلية من «اتفاقيات جنيف» الموقعة في العام 1864 والمحفوظة في متحف الصليب الأحمر والهلال الأحمر في جنيف.

تصادف موعد صدور هذا التقرير مع مرور عشر سنوات على إبرام مذكرة التفاهم بين جامعة الدول العربية واللجنة الدولية للصليب الأحمر للتعاون في كافة المجالات المشتركة ذات الصلة بالقانون الدولي الإنساني، والتي وقعت في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من العام 1999. وبالتالي يلقي هذا التقرير الضوء على ما تحقق من إنجازات خلال السنوات العشر الأخيرة في أربعة مجالات هي: إنشاء اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني، والتصديق على اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، والتشريعات الوطنية ذات الصلة بالقانون الدولي الإنساني، ونشر

خالد غازي*

* المستشار القانوني الإقليمي المساعد للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في اللجنة الدولية

القانون الدولي الإنساني والتدريب على أحكامه على الصعيدين الإقليمي والوطني.

وهو يتناول، بالإحصائيات والرسوم البيانية، الكم الهائل من الجهود التي بذلت والنتائج التي تحققت. فقد ازداد عدد اللجان الوطنية في العالم العربي من لجنة واحدة في العام 1999 ليبلغ 13 لجنة بحلول العام 2009. كما ارتفع عدد الدول العربية المصادقة على اتفاقيات القانون الدولي الإنساني لتتجاوز نسبة التصديق على بعضها التسعين في المائة كما هو الحال في شأن البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام 1949 المعتمد في العام 1977 والخاص بحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية. وتصل المصادقة في أخرى إلى مائة في المائة كما هو الحال في اتفاقيات جنيف لعام 1949 أو اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989. ودائما ما يعتمد التصديق على اتفاقية ما على الدراسات ●●●

التي تجريها الدولة حول الاتفاقية ومدى الاستفادة المحققة لها من التصديق، وهو ينبع أيضا من قرار سياسي لا تتخذه ولا تستطيع أن تقدره سوى الدولة نفسها. وعادة ما تستغرق الدراسات وقتا طويلا خاصة في الاتفاقيات المعنية بحظر أو تقييد التسلح، فضلا عن أن الاعتبارات السياسية أو الاقتصادية قد تحول في بعد الأحيان دون التصديق وفي أحيان أخرى تزول هذه الاعتبارات ويصبح الباب مفتوحا.

فبمجرد التصديق، تصبح أية دولة تصادق على أية اتفاقية دولية ملزمة بأحكامها على المستوى الداخلي. إلا أن بعض أحكام الاتفاقيات وهي تلك التي يطلق عليها أحكام غير ذاتية التنفيذ تحتاج إلى تشريعات أو لوائح حتى يمكن العمل بها داخل الدولة، مثل التشريعات المنظمة لاستخدام شارة الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر، وتلك التي تجرم الأفعال التي تصفها اتفاقيات القانون الدولي بالانتهاكات الجسيمة أي جرائم الحرب.

ويعكس التقرير الجهود التي بذلت والنتائج التي تحققت خلال الأعوام من 2007 إلى 2009 في مجال تطبيق القانون الدولي الإنساني في العالم العربي، سواء على المستوى الإقليمي نتيجة للتعاون بين اللجنة الدولية وجامعة الدول العربية، أو على المستوى الوطني حيث تتعاون اللجنة الدولية مع الجهات الحكومية المعنية بنشر وتطبيق القانون الدولي الإنساني.

وقد بينت الإحصائيات الواردة في التقرير أعداد القوانين الوطنية المتعلقة بتطبيق القانون الدولي الإنساني التي صدرت خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى الدورات الإقليمية التي عقدت من أجل رفع مستوى الوعي بالقانون الدولي الإنساني والتدريب على أحكامه، والتي بلغ عددها 15 دورة، كما أحال القسم الأول إلى تقارير الدول الواردة في القسم الثاني من التقرير في شأن أنشطة النشر الوطنية حيث تتجاوز هذه الأنشطة العشرات من الدورات واللقاءات والندوات.

إلا أن هذه الإنجازات لا تعني الوصول إلى نهاية المطاف أو أنه تم التغلب على كافة الصعاب والتحديات، فلا يزال الطريق طويلا والكثير من العمل مطلوبا لاسيما في الجانب التشريعي فيما يتعلق باعتماد التشريعات الوطنية التي تعكس ما اتفقت عليه الدول في المعاهدات الدولية، من أجل كفالة أقصى مدى من الحماية لضحايا النزاعات المسلحة. لعل أبرز هذه التحديات هي لفت انتباه البرلمانات العربية لتفسح المجال لمناقشة مشاريع القوانين الوطنية المطبقة لاتفاقيات القانون الدولي الإنساني.

فبالرغم من إدراك البرلمانات لأهمية هذه التشريعات، إلا أن إفساح المجال لمناقشة هذه القوانين في ظل كثرة مشاريع القوانين المتعلقة بالإصلاحات السياسية والاقتصادية في العالم العربي تجعل من هذا الأمر تحديا في بعض الدول.

كما أن كل الجهود التي بذلت في مجال النشر لا تعدو أن تكون مقدمة وتمهيدا لتكوين الكوادر المتخصصة التي يمكن لها أن تلعب دورًا حيويًا في مجال التطبيق الوطني للقانون الدولي الإنساني.

وقد ساهمت اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني كما غيرها من الأجهزة الحكومية المعنية بتطبيق هذا القانون في العالم العربي إسهامًا كبيرًا في تفعيل الإجراءات والتدابير المرجوة لإنفاذه على الصعيد الوطني لكل دولة، وعلى الصعيد الإقليمي من خلال عقد ثمانية اجتماعات للخبراء الحكوميين العرب في القاهرة والرباط وعمّان بين الأعوام 2001 و2009 من أجل اعتماد خطط عمل إقليمية لتطبيق القانون الدولي الإنساني في العالم العربي.

يستعرض القسم الأول من التقرير تطبيق القانون الدولي الإنساني في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال السنوات العشر الأخيرة؛ ويتناول القسم الثاني خطة العمل الإقليمية لتطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد العربي لعامي 2009 / 2010، وتقارير الدول العربية حول الإجراءات الوطنية التي اتخذتها كل منها لتطبيق القانون الدولي الإنساني، وأخيرا يأتي القسم الثالث ليتناول تدريس القانون الدولي الإنساني في مرحلتي التعليم الجامعي وما قبل الجامعي.

يستعرض القسم الثاني من التقرير خطة العمل الإقليمية التي اعتمدها الاجتماع الإقليمي الأخير، ويتناول التقارير التي قدمتها الدول المشاركة في هذا الاجتماع حول ما حققته كل منها من إجراءات وطنية تهدف إلى نشر وتطبيق أحكام القانون الدولي خلال الفترة ما بين الاجتماع السابع ونظيره الثامن حتى يمكن الوقوف على النقاط التي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود لتحقيقها ووضع خطة العمل الإقليمية لذلك.

وتعكس هذه الخطة طموح الدول العربية في مواصلة الجهود التي بذلت خلال الأعوام الماضية في مجال التشريع والنشر، فضلا عن التأكيد على ضرورة التعاون وتبادل الخبرات بين اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني في العالم العربي، وحث الحكومات العربية على تقديم الدعم للجان الوطنية وللجهود البرلمانية الرامية إلى التغلب على التحدي الخاص باعتماد بعض مشاريع القوانين المتعلقة بالقانون الدولي الإنساني.

وأخيرا تناول القسم الثالث بالأرقام والإحصائيات الجهود التي بذلت في مجال تدريس القانون الدولي الإنساني في المدارس والجامعات العربية. إذ لا يمكن كفالة احترام أحكام هذا القانون دون أن يلم به كافة المخاطبين بأحكامه أي كافة الأشخاص في الدولة، وبالتالي لابد من أن تدرج مفاهيم هذا القانون في المناهج الدراسية ذات الصلة سواء المدرسية أو الجامعية، فكما جاء في مقدمة دستور اليونسكو «لما كانت الحروب تبتدئ في عقول الرجال ففي عقول الرجال يجب أن تبنى حصون الدفاع عن السلام».

ويخلص التقرير في العديد من المواضع إلى أن ما تحقق من إنجازات على صعيد التطبيق الوطني للقانون الدولي الإنساني وعلى صعيد نشر أحكامه والتدريب عليها يمثل تطورا كبيرا من حيث الكم والكيف إلا أن الطموح لازال قائما لمواصلة هذا التطور ■

REUTERS

يشكل نشر القانون الدولي الإنساني في المدارس والجامعات أساسًا لكفالة احترام هذا القانون

ICRC

هايتي:
أزمة إنسانية حية بفضل الإعلام البديل

ضرب زلزال مدمّر جزيرة هايتي في 12 كانون الثاني/يناير 2010 متسببا بمأساة لثلاثة ملايين شخص منهم من توفي أو جرح ومنهم من شرد بسبب انهيار منازلهم. لكن اللافت في هذه المأساة الإنسانية هو الدور الذي أدّته المواقع الاجتماعية مثل "تويتر" و"فايسبوك" و"يوتوب" في مساعدة المنكوبين ودفع أعمال الإغاثة.

زينب غصن

تتحدث الأرقام الرسمية في هايتي عن مقتل 230 ألف شخص وجرح ما يقرب من 300 ألف أما المشردون الذي وجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها من دون سقف يؤويهم في العاصمة "بورت أو برانس" وضواحيها فهم وصلوا لمليون. قد يكون زلزال هايتي أحد أكبر الكوارث الطبيعية التي شهدها العالم في السنوات العشر الأخيرة، منذ موجة تسونامي التي ضربت جنوب آسيا في العام 2004، لكنه أيضا فتح الأعين مرة أخرى على الإعلام البديل أو ما يعرف بالمواقع الاجتماعية على الانترنت مثل "تويتر" و"فايسبوك" لبيان الدور الذي لعبته منذ اللحظات الأولى في الإضاءة على حجم الكارثة ونقل الأخبار للعالم حول ما يحصل في أحد أفقر دول العالم. إذ إن الإعلام التقليدي، ومهما كان واسع الانتشار، لا يملك أن ينشر مراسليه في جميع بقاع العالم. في المقابل نجد في كل مكان مواطنين يستخدمون الانترنت والمواقع الاجتماعية، أو الهواتف المحمولة التي تحتوي كاميرات، ما يجعلهم مراسلين محتملين في أي لحظة لنقل ما يحصل من حولهم. والحال أن في هايتي نفسها إبان الزلزال لم يكن هناك سوى مراسل أجنبي واحد يتبع لمجلة "تايم".

ففي حين أدى الزلزال إلى انقطاع وسائل الاتصال العادية كالتلفون وتدمير مباني التلفزيونات ووسائل الإعلام الأخرى العاملة في العاصمة، لم يجد الكثيرون، ومن بينهم الصحافيون المتواجدون في هايتي غير التوجه نحو الانترنت كوسيلة للبحث عن أخبار البلد المنكوب ثم نقلها إلى العالم.

أول خبر على تويتر

ما كادت الكارثة تحصل حتى بدأت أخبارها تتناقل عبر تويتر حتى قبل الإعلان عنها رسميا من قبل مراكز رصد الزلازل، ثم لحقتها الصور عبر "تويتبيك" Twitpic و«فليكر»، ثم لقطات الفيديو عبر «يوتيوب» لتسبق وكالات الأنباء العالمية، كل ذلك في فترة لم تتعدّ بضع دقائق ●●●

من حصول الزلزال. فقد كتب فريديريك دوبو Frederic Dupoux على تويتر عند الساعة الواحدة والدقيقة 56 ظهر الثلاثاء 12 كانون الثاني/يناير «آوه اللعنة! زلزال كبير الآن في هايتي!» وبعد ربع ساعة كتب «اللعنة! مازلنا نهتز! زلزال هائل». وإذا كان من غير الممكن بالتأكيد معرفة ما إذا كان دوبو هو أول من سجل الكارثة في الفضاء الإلكتروني إلا أنه بالتأكيد كان أولهم. وقد بقي هو وأصدقاؤه ينقلون لأيام، في بث حي على تويتر، ما يحصل حولهم على أرض هايتي.

وبالرغم من صعوبة معرفة هوية الأشخاص الذين ينشرون المعلومات عبر الانترنت، ومدى مصداقية ما يقولونه أو ينشرونه، فإن ذلك لم يمنع الصحافة التقليدية، التي تحرص عادة على التأكد من مصادر أخبارها، على الاعتماد على الإعلام البديل لاستقاء معلوماتها. فقد وضعت صحيفة «لوس أنجلس تايمز» مثلا على موقعها الالكتروني لائحة بالأشخاص الذين ينشرون أخبار الكارثة عبر «تويتر» كمساهمة منها في نشر الأخبار بغياب مراسلين لها في موقع الكارثة. كذلك فعلت مجلة «بي سي وورلد» التي نشرت تقريرا حول أهم المواقع الاجتماعية التي تتابع الموضوع. لكن المجلة نفسها أنهت تقريرها بالتساؤل حول مدى استخدام سكان هايتي أنفسهم لهذه المواقع للاتصال ببعضهم البعض أو تبادل المساعدة أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد وسيلة لنقل أخبار هايتي للعالم الخارجي.

الانترنت يدعم جهود الإغاثة

والحال أن اقتصار الموضوع على نشر المعلومات على العالم الخارجي لا يمكن أن يقلل من أهميته. فالمواقع الاجتماعية استطاعت في فترة بسيطة أن تعطي صورة واضحة عن حجم الكارثة التي حصلت ما ساعد على تعبئة جهود الإغاثة بسرعة لدعم المنكوبين.

ذلك أن قيام المؤسسات الإنسانية بتقديم المساعدة ومعرفة حجم الاحتياجات التي ينبغي تأمينها يعتمد بشكل كبير على المعلومات التي تصل حول حجم الكارثة. وشكل موقع التخابر عبر الانترنت «سكايب» وسيلة اتصال جيدة بين العاملين على الإغاثة على الأرض ومؤسساتهم خارج هايتي كما بين الهايتيين في المهجر وأهلهم على أرض الوطن.

إلى ذلك قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بإطلاق موقع إلكتروني لإعادة الروابط العائلية(FamilyLinks.icrc.org) يسمح للأشخاص، من خارج هايتي أو خارج المناطق المتضررة، بتسجيل أسماء أقاربهم الذين فقدوا الاتصال بهم. ثم تدرج على الموقع تدريجيا معلومات عن الأشخاص الذين ثبت أنهم على قيد الحياة. ومن الممكن للأفراد أنفسهم أن يقوموا بهذه العملية إذا كانت لديهم إمكانية استعمال الانترنت، ويضطلع بذلك أيضا موظفو الصليب الأحمر بناء على المعلومات المحصلة من الأشخاص الذين يلتقون بهم في المستشفيات والملاجئ وأماكن أخرى. يقول نائب رئيس وحدة الحماية في اللجنة الدولية **روبيرت زيمرمان "حتى يتسنى للسكان الذين ليس لديهم أية وسيلة للاتصال بالخارج إعلام عائلاتهم أنهم على قيد الحياة، أنشئ مكتب في مقر الصليب الأحمر في هايتي مجهزا بحواسيب ويعمل فيه موظفون مستعدون لمساعدة السائلين. وفي 18 كانون الثاني/يناير، أي بعد 6 أيام على الزلزال، كان ما يزيد على 22 ألف شخص قد سجلوا أسماءهم على الموقع، منهم أكثر من ألف وخمسمائة شخص آخر استخدموا الموقع لإبلاغ أقاربهم أنهم على قيد الحياة. وطلب 220 شخصا حذف أسماء أقاربهم من القائمة بعد أن تمكنوا من إعادة الاتصال بهم، إما بمبادرة مستقلة وإما عن طريق موقع اللجنة الدولية.**" لكن يلفت زيمرمان إلى أن اعتماد اللجنة الدولية على الانترنت لإعادة الروابط العائلية ليس حديثا فهو بدأ في العام 1995 "**عندما أنشأت اللجنة الدولية موقعها الأول لإعادة الروابط العائلية نتيجة النزاع المسلح في البوسنة والهرسك. ومنذ ذلك الحين، صارت المنظمة تستعمله في حالات النزاع المسلح، كما هو الحال في كوسوفو أو العراق أو الصومال، وفي أعقاب الكوارث الطبيعية، مثل إعصار "كاترينا" في الولايات المتحدة، أو كارثة تسونامي في جنوب آسيا عام 2004...**"

لكن المشكلة في المواقع التي تظهر بعد حصول الكارثة هو أنها لا يمكن أن تكون دائما موثوقة. فقد تناقلت بعض المواقع لقطات فيديو لاهتزاز الأرض قيل أنها من هايتي ولكن تبين لاحقا أنها لقطات قديمة لزلزال ضرب اليابان. كما ظهر على فايسبوك بعد الزلزال عدد من الصفحات الاحتيالية التي ادعت جمع التبرعات لضحايا الزلزال أحدها انضم إليه أكثر من نصف مليون شخص!. لذا تكمن دائما أهمية كبيرة في معرفة مصدر الموقع أو من يقف وراءه لاسيما إذا كان الموضوع أكبر من مجرد معرفة أخبار الحدث. وبالتالي من الأفضل دائما العودة إلى صفحات المؤسسات الإنسانية التي كانت موجودة على فايسبوك أو تويتر قبل الكارثة ما يعني أن لها تاريخًا في هذا العمل وليست طارئة أو مستغلة للموقف.

تبرعات ومعلومات للضحايا

ومع الانتشار الواسع لوسائل الاتصال مثل الهواتف المحمولة عمدت بعض المؤسسات الخيرية والإنسانية إلى استخدام التلفون المحمول لجمع التبرعات. ففي الولايات المتحدة مثلا قام الصليب الأحمر الأميركي بجمع أكثر من ثمانية ملايين دولار لضحايا الزلزال من خلال جعل الأفراد يرسلون رسالة نصية "أس أم أس" بكلمة هايتي على أحد الأرقام فيتم احتساب عشرة دولارات لكل رسالة على فاتورة المشترك تذهب للصليب الأحمر.

غير أن الإعلام التقليدي كان له دور أيضا في دعم جهود الإغاثة ومساعدة المنكوبين لاسيما في نشر معلومات حول الأماكن التي يمكنهم من خلالها أن يحصلوا على المساعدات. فقامت "إنترنيوز"، وهي مؤسسة دولية متخصصة في التنمية الاعلامية ولديها خبرة في مناطق الكوارث، بإرسال فريق من ستة إعلاميين مهمتهم إنتاج برنامج إذاعي بعنوان "أخبار يمكنك استخدامها" (news you can use) وتوزيعه على محطات إذاعية محلية. ويقدم البرنامج معلومات حول نقاط توزيع المياه والأغذية ومراكز الخدمات الصحية ومخيمات اللاجئين الذين فقدوا منازلهم في الكارثة بالإضافة إلى نصائح حول أفضل الوسائل لإنشاء ملاجئ آمنة. وللتأكد من أن البرنامج يصل للهايتيين قامت المؤسسة أيضا بتوزيع حوالي 9 آلاف راديو صغير ■

ICRC

ICRC

هايتي: بحثًا عن الأطفال الذين تم إجلاؤهم

بعد مرور عدة أشهر على الزلزال، عادت المحطات الإذاعية للبث من جديد واستؤنفت الاتصالات الهاتفية وأصبحت شبكة الإنترنت متاحة. وتمكنت عائلات كثيرة من العثور على أقاربها بفضل هذه الوسائل. ومع ذلك، مازال القلق يساور الآباء بسبب غياب أطفالهم الذين نقلوا إلى وجهة مجهولة في خضم فوضى الطوارئ. وتعمل فرق اللجنة الدولية والصليب الأحمر الهايتي من أجل إعادة جمع شمل هذه العائلات.

بالرغم من الجرح الذي أصابها في رجلها انطلقت "**ميموز**" تركض وتركض بسرعة وذراعاها مفتوحتان لاستقبال ابنها. عاشت هذه السيدة المفعمة بالحيوية والبالغة 38 سنة من العمر معظم حياتها هنا، في "**مارتيسان**"، أحد الأحياء الأكثر فقرًا من العاصمة الهايتية. وبعد وقوع الزلزال في 12 كانون الثاني/يناير، فقدت منزلها وكل ممتلكاتها تقريبًا. وتوضح قائلة وهي تحضن ابنها بشدة بين ذراعيها: "**نعيش اليوم باليوم، ولكنني سعيدة بالرغم من كل شيء. نجت أسرتي، وها هو الصليب الأحمر يعيد لي ابني**".

اسمه "**كلوديل**" وهو في 13 من عمره. حلق في سماء هايتي مرتين. المرة الأولى بطائرة مروحية بعد الكارثة وهو في حسرة ويتضور ألمًا بسبب كسر في ساقه نتيجة سقوط قطعة من الإسمنت عليه. أما المرة الثانية فعلى متن طائرة بعد عملية جراحية أمضى على أثرها بضعة أسابيع في مستشفى "**ميلو**" في "**كاب هايسيان**"، كان قد نقله إليه فريق من فرق الإنقاذ. ويروي "**كلوديل**" قائلًا: "**في البداية كنت خائفًا، إذ إنني لم أكن أعرف إلى أين أنا ذاهب ولا متى سأرى أمي ثانية. ولكنني تحدثت إليها عبر الهاتف لاحقًا.**" بالنسبة لطفل آخر مريض في مستشفى "**كاب هايسيان**"، كان العثور على والديه أصعب بكثير. لم يبلغ بعد "**جامسلي**" الثانية من عمره، وقد نقل من "**بور أوبرنس**" مباشرة بعد وقوع الزلزال دون أن يعبأ أحد باسمه ولا اسم والديه.

وتوضح **إيزابيل جانيري**، مسؤولة اللجنة الدولية المعنية بإعادة الروابط العائلية في هايتي قائلة: "**لحسن الطالع أن والد الطفل تبادر إلى ذهنه كتابة رقم هاتفه على بطنه. وبهذه الطريقة تمكنا من العثور على أسرته. ففي وسط الفوضى ليس من السهل التصرف بالشكل السليم.**"

أما "**سيلفاني**" فقد تمكنت أخيرا من رؤية ابنتها "**سايدة**" البالغة من العمر تسع سنوات بعد أن تمكنت اللجنة الدولية من إيجادها في "**غوادلوب**" لدى عائلة مضيفة بعد أن أنهت علاجها من جروح تسبب بها الزلزال في أحد مستشفيات **غوادلوب**. وكانت "**سايدة**" قد أخرجت حية من تحت أنقاض مدرستها وسط صراخ وبكاء الناجين. وحتى يتسنى نقل الطفلة إلى أقرب مستشفى بأسرع ما يمكن، وضعتها "**سيلفاني**"، دون أن ترافقها، في سيارة تعج بالضحايا فكانت آخر مرة ترى فيها ابنتي. وعندما وصلت إلى المستشفى أبلغها أناس أن عددًا من المرضى نقلوا إلى الخارج.

تقول **إيزابيل جانيري**: "**عندما تتوفر لدينا معلومات صحيحة مفادها أن أطفالًا نقلوا إلى الخارج، نجري اتصالات مع جمعيات الصليب الأحمر في البلدان المعنية. وإذ ذاك تقوم هذه الجمعيات بالبحث عنهم هناك. فمن نقاط القوة لدى حركة الصليب الأحمر هو العمل كشبكة واحدة.**" وبعد عمل جهيد تمكنت اللجنة الدولية من تحديد مكان سايدة وأعادتها إلى أحضان أمها بعد ثلاثة أشهر من الزلزال ■

ICRC

عم صلاح.. حامل الأخبار

كثيرا ما نعتاد وجود أشخاص بيننا من دون أن نفكر كثيرا بالقصص التي يحملونها وراء ابتساماتهم ولا بحقيقة من هم. ...في المكتب أو الشارع أو البناية يقدمون خدمات تبدو بسيطة في ظاهرها لكن غيابها بالتأكيد سيؤثر كثيرا على عملنا أو حياتنا. «عم صلاح» هو واحد من هؤلاء الأشخاص بالنسبة للعاملين في بعثة القاهرة في اللجنة الدولية للصليب الأحمر. يأتي دائما مع قهوة الصباح يطرق الباب مستأذنا ليدخل ويلقي عليك التحية مع حرص دائم على مصافحتك بيد وتقديم الصحف اليومية لك باليد الأخرى. حركة تشبه كثيرا عمليات التسلم والتسليم الرسمية التي يتبادل أطرافها نسخا من اتفاقيات مكتوبة. لكن الاتفاقية بين عم صلاح وكل واحد منا ليست مكتوبة بل هي تعبير يومي عن احترام إنساني لشخص يحمل الأخبار إليك وهو الوسيط الدائم بينك وبين صحفك والقدرة على الإطلاع على ما يحصل من حولك وفي العالم. لم يبدأ عم صلاح عمله كمتعهد صحف إلا منذ حوالي العشر سنوات. فمعظم سنواته الاثنتين والسبعين، والتي تظهر عميقا في قسمات وجهه ويديه، قضاها في الجهاز المركزي للإحصاء كمفتش تعداد مهمته التأكد من سير عمل فرق الإحصاء التي تقوم بتعداد الأفراد أو المنشآت ووضع جداول إحصائية وإصدار نتائجها. مهمة تشكل أساسا لتأمين المعلومات اللازمة لمتخذي القرار من أجل وضع استراتيجيات ودراسات تفيد الناس. وهي نفس المهمة التي يقوم بها اليوم من خلال عمله مع اللجنة الدولية بعد أن تقاعد برتبة وظيفية توازي مدير عام. لم يكن من الممكن أن يكتفي عم صلاح برتبة متقاعد ويستريح في منزله فقرر أن يكمل مسيرة والده الذي كان متعهد توزيع صحف معروف في منطقة الدقي غرب القاهرة ويدير كشك الصحف الذي يملكه. هو عمل مع والده في توزيع الصحف عندما كان ما يزال تلميذا في المدرسة فيعرف الكثير عن هذه المهنة. لكن، وبالرغم من أنها مصدر رزقه اليوم، فإن نظرة عم صلاح للصحف وما تكتبه ليست إيجابية دائما، انتقاداته لها تطال الشكل والمحتوى. «هذه صحيفة تعتمد على المانشيتات الساخنة لتبيع وأخرى تلهي الناس بالرياضة عن المواضيع المهمة وثالثة تبالغ في أخبارها أما الطبعة الأولى من أي جريدة فلا تقرأ لأن أخبارها ناقصة». الصدق بالنسبة إليه يكمن فقط في أخبار الوفيات هي الوحيدة التي لا تكذب برأيه!

ICRC

لا يحتاج عم صلاح لأكثر من دراجته «الفيسبا» ليتنقل بين مؤسسة وأخرى موزعا عليها الصحف ابتداء من الساعة السادسة صباحا. وهو يحفظ في رأسه ما تحتاجه كل مؤسسة وكل فرد فيها من صحف ومجلات فلا يدون أي أرقام بل يترك العمل لذاكرته وقدرته على الحفظ. يعترف عم صلاح أن الغلط وارد في بعض الأحيان لكنه ليس القاعدة. هو لا يرى نفسه أكثر من موزع صحف يقوم بعمله، لكن الواقع أعمق من ذلك فعم صلاح يدخل نفحة إنسانية صباحية يوميا مع كل ابتسامة ويساهم بشكل غير مباشر في فهمنا لمحيطنا وفي تحسين ظروف ونوعية عملنا في اللجنة الدولية ■

زغ

التبلدي: شجرة تدور حولها الحياة

محمد الأمين النحاس*

تبدو شجرة «الباوباب» أو التبلدي للناظر إليها وكأن يدا عملاقة قلبتها فأضحت جذورها في السماء وأغصانها غائصة في التراب. لكن بعيدا عن الشكل المميز والساحر للتبلدي فإن هذه الشجرة تؤدي دورا كبيرا في حياة الأفارقة بشكل عام والسودانيين بشكل خاص.

ارتبطت حياة الناس بدرجة كبيرة بشجرة التبَلدي، والتي تعرف كذلك باسم الباوباب (Adansonia digitata)، على امتداد المناطق التي توجد فيها في السودان. ويعود هذا الأمر لتعدد مزايا الشجرة وتنوع خصائصها وهو ما عزز اعتمادية الناس عليها، وجعل مختلف أنشطتهم تتمحور أو ترتبط بشكل ما بتلك الشجرة سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي وحتى السياسي.

لقد اختزلت هذه الشجرة بعد المسافة بين أهل البوادي في مناطق انتشارها ليتفاعلوا اجتماعيًا تحت ظلالها من خلال العديد من الأنشطة اليومية، وصارت بالنسبة لهم موردًا اقتصاديًا ومصدرًا للدواء، ومكانًا لتنظيم شؤون الناس بما في ذلك فض النزاعات واحتواء آثارها، وبنفس القدر كانت تمثل أيقونة دارت حولها العديد من الأشعار والقصائد خلُدت في الذاكرة وشكلت الوجدان الجمعي لأهل البادية. ومن ذلك القصيدة الرائعة للشاعر **جعفر محمد عثمان**:

"ذكرى وفاء وودِ
عندي لبنتِ التبلدي
في كل خفقة قلبٍ وفي كل زفرة وجدِ
كنتِ عشًا لساجعاتِ الطيورِ
وكنت عشًا للعذارى من كلِ جنسِ"

خصائص مميزة لشجرة معمرة

تنتشر هذه الشجرة في السودان في مناطق كردفان وغرب وجنوب دارفور، وتعرف بأنها بطيئة النمو وبرغم ذلك يصل ارتفاعها إلى حوالي 25 مترًا ويبلغ قطر جذعها حوالي 11 مترًا ما يجعلها من أضخم الأشجار على مستوى العالم. أما متوسط عمرها فقد يصل إلى ألفي عام ويذهب البعض إلى القول بأنها تعمّر خمسة آلاف عام.

تتميز شجرة التبلدي بمقاومتها العالية للجفاف وبتحملها لقلة المياه لمدة قد تصل في بعض الأحيان لتسعة أشهر، حيث تظل بلا أوراق إلى أن تبدأ في النمو من جديد مع بداية فصل الخريف.

والجدير بالإشارة أن شجرة التبلدي لا تعد من الأشجار الواسعة الانتشار في العالم وتذكر العديد من المصادر أن الموطن الأصلي لهذه الأشجار هو الشريط الممتد من شرق القارة الأفريقية إلى غربها، إضافة إلى وجودها جنوب هذه المنطقة وحتى منطقة السافانا الرعوية في جنوب القارة. كما تنمو أيضًا في كل من استراليا واليمن والهند ولكن بأعداد أقل.

لشجرة التبلدي العديد من الفوائد فهي تطرح ثمارًا تعرف في السودان «بالقُونقُليز» وهو عبارة عن لب أبيض اللون يحميه جسم واقٍ يشبه إلى حد ما كرة الركبي إلا أن غلافه الخارجي أقوى وصلب بعض الشيء. ويستفاد من النواة في ثمار التبلدي في استخراج زيت يستخدم لأغراض طبية وتجميلية، كما يستفاد من الأوراق والجذع وحتى اللحاء. وعمومًا لجميع أجزاء شجرة التبلدي خصائصها المميزة مما يجعلها ذات استخدامات وفوائد عدة.

شجرة ذات فوائد اجتماعية

شكلت أشجار التبلدي عاملًا مهمًا من ناحية اجتذاب القبائل لتستقر في الإقليم الذي تنتشر فيه على الرغم من انعدام أو قلة المياه، فقد كانت هذه الأشجار وسيلة في متناول اليد للتغلب على مشكلة شح المياه باستغلالها كمستودع تخزن فيه المياه في الخريف تحسبًا لفصل الصيف. وإذا تتبعنا حركة انتقال القبائل في تلك الأنحاء لانتقاء مكان مناسب للاستقرار، سنجد التبلدي، ضمن عناصر أخرى، قد ساعدت على الاستقرار.

وتؤكد الدراسات التي اهتمت بالبحث الأنثروبولوجي في مناطق شمال **كردفان** وفي «**دار حَمَر**» على وجه التحديد، أن معظم قرى «**دار حمر**» قامت في الأماكن التي تتواجد فيها التبلدي بكميات كبيرة لكونها المخزن الرئيسي لحفظ المياه في فصل الصيف.

فالقبائل عندما تبحث عن الاستقرار في المنطقة تحتاج لمياه الشرب ومصادر الدخل لذلك كان لابد لكل شخص أن يمتلك بعض أشجار التبلدي لتخزين المياه. وبسبب أهمية هذه الشجرة بالنسبة للبدو الذين استقروا في مناطق نموها، دخلت الشجرة ضمن منظومة الأعراف السائدة بين السكان منذ القدم. أصبح هناك عرف ينظم ملكية هذه الأشجار وتوريثها وانتقال حق الانتفاع بها. فعلى سبيل المثال –بالنسبة للعرف السائد في منطقة **دار حمر**– نجد أن التبلدي والأراضي الزراعية والهشاب (الشجرة التي تنتج الصمغ العربي)، تعتبر ملكا للقبيلة وليست ملكا للأفراد، فالقبيلة صاحبة الحق وهي تفوض الزعامات التقليدية (الشيوخ والشراتي والنظار) الذين يقومون على أمر القبيلة، بتنظيم الملكية والإشراف على حق الانتفاع والهبات.

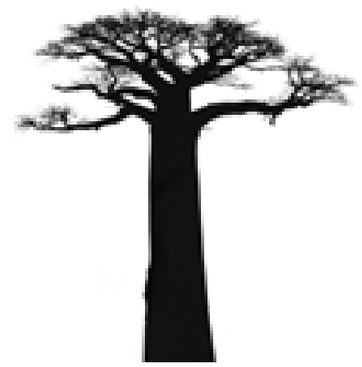

* كاتب سوداني

** عصير لونه بني يستخرج من ثمار صغيرة بحجم البلية بلون بني لامع تزرع غرب السودان، يحضر بنقع الثمار ثم خلطها بالخلاط وتصفيتها من بذورها البيضاء الصغيرة وقشورها.

كذلك خاطب العرف مسألة إكرام القادمين الجدد والذين ما إن تحط رحالهم في ديارٍ جديدة وتكّرم وفادتهم كما هو سائد في معظم البوادي، ينعقد مجلس القرية بدعوة من الشيخ حيث يتم منح الوافدين الجدد شجر تبلدي تم تجويفها وصارت قيد الاستخدام كمستودع لحفظ المياه. ويستعيد المانح حق الملكية في حال تخلي الممنوح عن ما أعطي له.

وزاد العرف التفصيل في مسألة أيلولة أشجار التبلدي التي تخص أي مجموعة من سكان القرية ترحل إلى ديارٍ أخرى، فقد استوجب العرف في هذه الحالة أن يتم تسليم كل التبلدي الذي تمتلكه المجموعة الراحلة للشيخ ولا يحق لها بيعها أو هبتها لأي شخص، ولكن لها الحق في بيع الماء الذي تحتويه أشجارهم.

كذلك نجد أن أشجار التبلدي، بحكم حجمها الضخم، توفر ظلًا يتفيأه أهل القرية، فيقيمون فيه احتفالاتهم المحلية وتحتشد فيه مجالس التشاور، والأنس والترويح والألعاب، ومجالس الصلح والوساطة (المعروفة على المستوى المحلي بـ«الجُودِية») لاحتواء المنازعات، ومجالس التعليم حيث يمكن أن يكون ظل التبلدي كفصل للتعليم. وبذلك يمثل التبلدي محورًا تدور حوله العديد من أنشطة السكان المحليين يختلط فيها ما هو اجتماعي بالسياسي وحتى التعليمي والثقافي.

محور لحركة اقتصادية

تمثل أشجار التبلدي عامل استقرار للسكان المحليين ومعينًا مهمًا لمزاولة نشاطهم من خلال الاستفادة من إمكانية استخدامها لتخزين المياه أثناء موسم الجفاف. وتتميز مناطق انتشار التبلدي بالحراك التجاري خاصة مناطق كردفان والمناطق القريبة منها. فهي علاوة على ما تتمتع به من استقرار، تشتهر بالثروة الحيوانية وإنتاج الصمغ العربي وبتجارة المنتجات التي تستخدم في إعداد المشروبات ذات المذاق الطيب مثل «العرديب» (التمر الهندي) و«الكركدي» و«القضيم(**)»، وهو ما يجعل هذه المناطق مزدهرة تجاريًا.

كذلك توفر ثمار القونقليز التي تطرحها أشجار التبلدي موردًا يوسع الفرص التجارية للسكان المحليين حيث تباع هذه الثمار في مختلف أسواق المدن السودانية الكبرى ويستخلص منها مشروبًا طبيعيًا رائع المذاق، ويستخدم لمعالجة الإسهال والديزطارية (أو الدوسنطارية) وكمصدرٍ لفيتامين «سي». وهي فوائد اعترف بها الطب الحديث. كما تستخدم أوراق التبلدي المعروفة محليًا بـ«العفوص» في إعداد طبقٍ يشبه السلطة يتكون من ورق أشجار التبلدي وتضاف له عجينة الفول السوداني والبصل والملح.

إلى ذلك يستفاد من «القونقليز» في إنتاج زيت عالي الجودة يستخدم طبيًا في مجال تحسين مرونة الجلد وعلاج الجلد الجاف والإكزيما وكمضاد للالتهابات، فضلًا عن دخوله في إنتاج مستحضرات التجميل.

أحدث تطور سبل العيش والحياة بما في ذلك تحسن طرق المواصلات، تحولات اجتماعية عميقة طالت إنسان البادية نفسه، فكان أن تراجعت اعتمادية الناس على التبلدي بدرجات مختلفة. لكن لا تزال هذه الشجرة شامخة تتحدى الجفاف، وستظل علامة دالة على تراث مناطق انتشارها وظاهرة بيئية تستحق المزيد من الاستقصاء وبذل جهود بحثية لزيادة معرفتنا بها، لما تمثله ■

زينب غصن

الرسم : فؤاد مزهر*

الزمن قبل عشرين عاما...

عندما وصل الخبر إلينا كان الشعور الأول الذي انتابني أن الحظ أسعفنا مرة أخرى ونجونا كما في كل المرات السابقة بأعجوبة. وكما في كل مرة كان الحديث يدور حول اللحظات التي سبقت سقوط القذيفة... كيف أن صوتا ما أو إحساسا ألهمك بأن تبتعد عن المكان... في اللحظة المناسبة التي أنقذت حياتك.

تبدو الحياة في الحرب دائما عبارة عن مجموعة من اللحظات.. بل من الثواني، بعضها أبيض وبعضها أسود. في الحرب لا يمكنك أن تحتسب الحياة بالسنوات أو الأيام. من المهم جدا أن تكون معايير الوقت بالنسبة إليك مقلصة إلى أقصى حد. وهو ما ينعكس على أمور عدة في طريقة عيشك. تعيش يومك لحظة بلحظة. تخرج من منزلك في الصباح متوجها إلى المدرسة أو العمل. أنت متأكد الآن أن يومك المدرسي سيبدأ الساعة الثامنة صباحا لأنك دخلت بالفعل باب المدرسة لكنك لست متأكدا متى ستخرج. لو كنت في بلد طبيعي ستكون متأكدا أن يومك المدرسي سينتهي عند الساعة الثالثة من بعد الظهر. تستغرب كثيرا أولئك الذين يحدثونك عن مشاريعهم بعد سنتين أو ثلاث من الآن. عن ذلك الذي بدأ ينظم رحلة إجازته إلى أسبانيا في الصيف المقبل. هو يعرف بالتأكيد أن بعد أسبانيا هناك إيطاليا في السنة التالية ولندن بعد سنتين. من أي كوكب يأتي هؤلاء الناس؟ تضحك في سرك على حالة التنظيم الغريبة والغبية التي يتمسكون بها فيما كل ما حولك ليس إلا حالة من الفوضى الخلاقة. أنت لا يمكنك أن تقرر الآن ما ستفعله في الدقيقتين التاليتين. حسنا قد أكون أبالغ ولكنها الحقيقة. أنت ولدت في الحرب وعشت مجمل طفولتك ومراهقتك في ظلها ثم فجأة قرر أحدهم أن الحرب انتهت وأن عليك أن تنظم حياتك تبعا لأيام وأشهر وسنوات وليس للحظات أو ثوان أو دقائق كما كنت تفعل. تحاول أن تتأقلم لكن الطبع يغلب غالبا التطبّع. ما الذي سأفعله غدا؟ حسنا ليأتي غدا وعندها سأقرر. تستعير الحكمة التي تلجأ إليها سكارلت أوهارا في رواية «ذهب مع الريح» من أن غدا يوم آخر وسأنام الآن وأحل المسألة العالقة غدا.

في الحرب يبدو الإحساس بالوقت مختلفا. تشعر وكأن الوقت يتوقف في كثير من الأحيان. إحساس يتأكد للبعض عندما تنتهي الحرب فيكتشفون فجأة أن سنوات من عمرهم ضاعت وأن حياة بكاملها أصبحت وراءهم وما عليهم الآن إلا أن يلملموا شتات اللحظات المتبقية.

لكن الخبر الذي أتانا لم يكن مفاجئا...بل كنا ربما لنفاجأ لو لم يأت. فنحن تعودنا أن تكون لنا حصة الأسد في كل معركة تشهدها المنطقة حتى ولو كانت معركة بين قطتين في الشارع! قرر أبواي أن يتوجها إلى الشقة ليقيما حجم الأضرار التي خلفتها القذيفة الأخيرة. ذهبا وعادا. فهمت حجم الضرر من تعابير وجهيهما. حسنا كنا محظوظين أننا لم نكن في الشقة. أين المشكلة سنبني من جديد كما في كل مرة ونعيد ترتيب حياتنا. كنت دائما أستغرب من أين تأتيني جرعات التفاؤل في أحلك الظروف. «بسيطة... كله يعوّض». هكذا كنت أقول ثم أبحث عن أجوبة لما نحن فيه في كتب الدين والماورائيات.

من سلم الطابق السادس كان يمكنك أن ترى الركام داخل الشقة... من تلك الكوة التي انفتحت في الحائط.. بل كان يمكنك أن تتعرف على محتويات غرفتي بعد أن تبعثرت أجزاؤها على السلم. عندما تفكر عادة بالموت تربطه دائما بالكائنات الحية. في ذلك اليوم الذي دخلت فيه منزلنا فهمت كيف يمكن لغرفة في منزل أن تموت.. أن تتعرى من كل شيء قبل أن تدفن ومعها ذكرياتها. هنا كان السرير وهنا الخزانة وهناك جهاز التلفزيون. بقيت أبحث بين الركام عن أشيائي عن ألعابي وكتبي. ينقبض وجهي حينا وينفرج حينا آخر. لكنني كنت أبحث عن شيء خاص. لم أرغب في أن أفقده. كانت آخر الألعاب التي أهداني إياها جدي قبل وفاته. بقيت أبحث لساعة من دون نتيجة. هل فتتها الانفجار؟ هل سقطت من الكوة المفتوحة على السلم فالتقطها أحدهم لابنه؟ لا أعرف لماذا اليوم، وبعد أكثر من عشرين عاما على الحادثة مازلت عالقة عند هذه النقطة. هو زمن الحرب ربما يتحرك ببطء فيستنفد كل ثانية فالثانية مهمة وهي الفاصل بين حياة وموت ■

* مصمم غرافيكي لبناني شاب متخصص في كتابة ورسم القصص المصورة. والرسم مأخوذ من مجلة «السمندل» للقصص المصورة / العدد الثالث.

القيود الغالية

أضيق، أضيق بأغلال حبي
فأمضي وتمضي معي ثورتي
أحاول تحطيم تلك القيود
ويمضي خيالي
فيخلق لي عنك قصة غدر
لكيما أبرز عنك انفصالي
وأقضيك عني بعيدًا بعيد
لعلي أعانق حريتي
وأقطع ما بيننا
غير أني
أحس إذا ما انفصلنا
كأني
لُفظت وراء حدود الوجود
ويثقل قلبي
وتنقص روحي
وتصبح مبثورة رازحه
وأكره أهلي
وأكره نفسي
وتعرى الحياة وتمسي
قفارًا بغير جمال
بغير ظلال
ويصبح عيشي بغير مذاق
فلا طعم، لا لون، ولا رائحه
ويسألني عنك قلبي
ويصرخ في ألم في احتراق:
لماذا جننت فأقضيته؟
لماذا؟
لماذا؟
تراه يعود
وحين تعود

فدوى طوقان*

يعود الوجود
يمد ذراعين مفتوحتين
إليّ، ويصبح قلبي خفيفًا
يغني كطير سعيدٍ
بنى عشه في ربى الجنة
وروحي التي بترت يا حبيبي
ترد بقيتها الضائعه
إليها،
وتخضب حولي الحياه
وتبدو ملونة رائعه

وأمضي وتمضي معي فرحتي
أعانق فيك عبوديتي
وأحضن أحضن تلك القيود
حبيبي بما بيننا من عهود
بضحكة عينيك
إذا أنا ضقت بأغلال حبي
وثرت عليها وثرت عليك
فلا تعطني أنت حريتي
فقلبي قلب امرأة
من الشوق ... يعشق حتى الفناء
ويؤمن في حبه بالقيود

* فدوى طوقان (1917 – 2003) أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين، ولقبت بشاعرة فلسطين، حيث مثّل شعرها أساسًا قويًا للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع.

ICRC

بيروت: ورشات عمل تدريبية للضباط والدبلوماسيين والصحافيين

أقامت بعثة اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر في بيروت بين 15 و18 شباط/فبراير الماضي ورشة عمل لضباط من الجيش وقوى الأمن الداخلي لتدريبهم على برنامج إلكتروني للتعامل مع قواعد البيانات قبل الوفاة وبعدها. وقد صُمّم هذا البرنامج الإلكتروني خصّيصًا من قبل اللجنة الدوليّة لتنظيم إدارة وأرشفة البيانات الأساسيّة من أجل تسهيل عمليّة تحديد الهويّة.

وكانت العاصمة اللبنانيّة قد استقبلت في مستهلّ السنة، الدورة الأولى لهذا العام حول القانون الدولي الإنساني التي تنظّمها اللجنة الدوليّة بالتعاون مع جامعة الدول العربيّة. وشارك في الدورة أكثر من 60 دبلوماسيا وممثّلا رسميًا وقانونيا من مختلف بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. تأتي هذه الحلقة الدراسيّة في إطار برنامج من الحلقات الدراسية حول هذا الموضوع بدأت في العام 2004 بناء على قرار من مجلس الوزراء العرب، واستمرت في النمو سنة بعد سنة.

إلى ذلك نظّمت بعثة اللجنة الدولية في بيروت ورشة عمل للصحافيّين اللبنانيّين للتعريف ببعض المفاهيم المتقدمة في القانون الدولي الإنساني، ما يمكن أن يساعدهم على كتابة وإنتاج قصص أفضل وتغطية أشمل للقضايا الإنسانيّة، خاصّة فيما يخصّ تغطية النزاعات المسلّحة.

القاهرة: المؤتمر الثاني للبرلمانيين العرب وحماية الشارة في مجلس الشعب

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتعاون مع مجلس الشعب المصري والاتحاد البرلماني العربي المؤتمر الثاني للبرلمانيين العرب، في الفترة من 4 إلى 6 أيار/مايو 2010. وقد شارك في المؤتمر 40 برلمانيا من 11 دولة عربية هي البحرين، تونس، الجزائر، السعودية، سوريا، عمان، فلسطين، قطر، الكويت، المغرب، ومصر.

هدف اللقاء إلى تنسيق الجهود بين الاتحاد البرلماني العربي واللجنة الدولية لصياغة خطة عمل إقليمية لتفعيل دور البرلمانات العربية على صعيد كل دولة في إنفاذ أحكام القانون الدولي الانساني.

وقد خلص المؤتمر إلى اعتماد خطة عمل لتنسيق الجهود لمراجعة التشريعات الوطنية بحيث تتفق واتفاقيات القانون الدولي الإنساني في مجالات جرائم الحرب، وحماية الشارة، وحماية الممتلكات الثقافية، والبحث عن المفقودين، بالإضافة إلى دراسة مدى مواءمة التصديق أو الانضمام إلى هذه الاتفاقيات الدولية، واقتراح التصديق أو الانضمام إلى هذه الاتفاقيات بما يتلاءم والمصالح القومية لكل دولة.

إلى ذلك، وبالتعاون مع الأمانة العامة بمجلس الشعب المصري، عقدت بعثة اللجنة الدولية في القاهرة حلقة نقاشية لشرح واستعراض أهمية حماية شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر في شهر آذار/مارس. تأتي هذه الحلقة النقاشية قبيل عرض مشروع القانون الخاص بحماية الشارة والذي سيقدمه وزير العدل المصري للمجلس في دورته الحالية. حضر اللقاء ما يقرب من خمسين عضوا من أعضاء المجلس ممثلين وأعضاء للجان التشريعية، وحقوق الإنسان، والأمن القومي، على رأسهم رئيس مجلس الشعب الدكتور **أحمد فتحي سرور** الذي أدار النقاش.

ICRC

المنامة:

ورشة حول إعادة الروابط العائلية

بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر البحريني، نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر لدول مجلس التعاون الخليجي ورشة عمل حول الروابط العائلية يومي 9 و10 آذار/ مارس 2010 في مقر الهلال الأحمر البحريني. شارك في الورشة أكثر من 20 شخصا من إداريي ومتطوعي الجمعية الوطنية يمثلون أقسام الخدمة الاجتماعية والاسعافات الأولية والتوعية الصحية والشباب والناشئة.

وقد عرضت الدورة لنشأة اللجنة الدولية ولمبادئها، وعرفت بمبادئ القانون الدولي الإنساني. كما تناولت خدمة إعادة الروابط العائلية من حيث تعريفها، وأهميتها وظروف وأساليب استخدامها وعرضت لأدواتها وتناولت أيضا الاستراتيجية العشرية لإعادة الروابط العائلية من حيث تعريفها وهدفها وأهميتها.

ICRC

ICRC

الدوحة:

حماية الصحافيين في مناطق الأزمات

قام مركز الدعم الإقليمي الإعلامي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة، بالتعاون مع قسم الحريات العامة وحقوق الإنسان بقناة الجزيرة في قطر بتنظيم ورشة تدريبية حول حماية الصحافيين في أوقات النزاعات المسلحة في شباط/ فبراير 2010.

وشارك في الورشة التدريبية مراسلون ومعدو أخبار ومذيعون ورؤساء تحرير يعملون في القناة.

وتناولت فقرات التدريب الذي استمر يومين، مقدمة عن القانون الدولي الإنساني وعن أهمية معرفة هذا القانون الذي يعنى بحماية المدنيين وضحايا النزاعات المسلحة، بالإضافة إلى عرض عن محكمة الجنايات الدولية وضرورة حماية الصحافيين أثناء النزاعات المسلحة.

وساهم الحاضرون بمداخلات أثرت النقاش حول أهمية التغطية الإعلامية للجوانب الإنسانية للنزاعات.

وقد أدار حلقات التدريب من جانب قناة الجزيرة كل من **سامي الحاج** و**حسن المجّمر** وحاضر من جانب اللجنة الدولية كل من المستشار القانوني الإقليمي **شريف عتلم**، ومسؤول الإعلام في بعثة الكويت **فؤاد بوابة**، والخبير في تدريب القوات المسلحة **أسامة دمج**، ومدير المركز الإقليمي للإعلام **هشام حسن**. كما حضر افتتاح الدورة رئيس التحرير بقناة الجزيرة **أحمد الشيخ**.

ICRC

غزة:

تدريب للجامعة الإسلامية ووزارة شؤون الأسرى والمحررين

بجهود مشتركة بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر والجامعة الإسلامية بغزة، عقدت دورة متخصصة في إعداد مدربين في القانون الدولي الإنساني للجامعة الإسلامية في شباط/ فبراير2010 استمرت خمسة أيام، وشارك فيها عمداء كليات الجامعة وعدد من المحاضرين في كليات الشريعة والقانون والتجارة من أقسام الاقتصاد والعلوم السياسية والآداب والتاريخ والصحافة والإعلام. ويأتي هذا التعاون في إطار التعريف بالقانون الدولي الإنساني ودمجه في مناهج الكليات المذكورة.

كما عقدت اللجنة الدولية في غزة في الشهر نفسه دورة تدريبية لثلاثة أيام في القانون الدولي الإنساني لوزارة شؤون الأسرى والمحررين وشارك فيها 18 من العاملين في الوزارة من مختلف دوائرها في إطار التعاون المستمر بين اللجنة الدولية والوزارة لرفع مستوى المعرفة بالقانون الدولي الإنساني وعمل اللجنة الدولية في الأراضي الفلسطينية.

أبو ظبي:

صحافيو الإمارات وتغطية القضايا الإنسانية

بالتعاون والتنسيق مع كل من هيئة الهلال الأحمر وجمعية الصحفيين في دولة الإمارات العربية المتحدة، نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر لدول مجلس التعاون الخليجي ورشة عمل حول القانون الدولي الإنساني في 16 و17 شباط/ فبراير 2010 في أبو ظبي شارك فيها أكثر من 30 صحفيا يمثلون وسائل الإعلام الرئيسية المكتوبة والمقروءة في الدولة.

افتتح الورشة مدير عام المجلس الوطني للإعلام **إبراهيم العابد**، الذي أكد على «**أهمية انعقاد الورشة في ظل التحديات والمخاطر التي تواجه الصحفيين عند تغطيتهم للنزاعات والكوارث**». ونوّه **العابد** بالورشة كفرصة للحوار مع ممثلي اللجنة الدولية حول دور الإعلام في تغطية وطرح القضايا الإنسانية.

من ناحيته، قال رئيس «جمعية الصحفيين» **محمد يوسف** «**أن انعقاد هذه الورشة هو مجرد خطوة أولى سيتبعها تنظيم ورشات عمل مماثلة لتعزيز وعي الصحفيين في المسائل الإنسانية، ولتشمل أكبر عدد من الصحفيين في الدولة**». هذا وأكد نائب المفوّض الإقليمي على أهمية دور الإعلام في تغطية القضايا الإنسانية، وشدّد على التعاون مع الجمعيات الوطنية في المجالات الإنسانية وخاصة نشر القانون الدولي الإنساني.

تناول برنامج الورشة عرضا للقواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني ومبادئه ونطاق تطبيقه، والأشخاص والأعيان المحمية، وحماية الصحفيين في الحرب، وآليات تطبيق القانون الدولي الإنساني، والعلاقة بين هذا القانون والشريعة الإسلامية. كما تم التعريف بالحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر والأنشطة التي تقوم بها اللجنة الدولية وهيئة الهلال الأحمر لدولة الإمارات العربية المتحدة.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة مصر
هاتف: 25281540/25281541 (202++) فاكس: 25281566 (202++)
البريد الإلكتروني: cairo.cai@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 111191
هاتف: 5921472/4604300 (9626++) فاكس: 5921460 (9626++)
البريد الإلكتروني: amman.amm@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 (79 964++) فاكس: 712266 763 (873++)
(عمّان): غرب أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 5 و 14
(عمّان): هاتف: 65523994 (962++) فاكس: 65523954 (962++)
البريد الإلكتروني: iraq.iqs@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 (96311++) فاكس: 3310441 (96311++)
البريد الإلكتروني: damas.dam@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 (9722++) فاكس: 5917920 (9722++)
البريد الإلكتروني: jerusalem.jer@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299(9611++) فاكس: 740087(9611++)
البريد الإلكتروني: beyrouth.bey@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 (249183) ++ (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183) ++
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: المندوبية الإقليمية بتونس، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 (21671++) فاكس: 960156 (21671++)
البريد الإلكتروني: tunis.tun@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213++) فاكس: 18 43 92 21 (213++)
البريد الإلكتروني: alger.alg@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 (9671++) فاكس: 75 46 78 (9671++)
البريد الإلكتروني: sanaa.san@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 25322061/25322062/25322098 (965++) فاكس: 25324598 (965++)
البريد الإلكتروني: koweit.kow@icrc.org

بعثة الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 5/4/3963 – 9/8/2713367 (25420++) فاكس: 13731 2027 254 ++
البريد الإلكتروني: somalia.sok@icrc.org

طهران: كميته بين المللي صليب سرخ، تهران – بلوار أفريقا – خيابان تابان شرقي – شماره 18
هاتف:4–5503 8878 21 98++ فاكس: 3370 8878 21 98++
البريد الإلكتروني: tehran.teh@icrc.org

موريتانيا: صندوق بريد: 5110، نواكشوط
هاتف: 38 447 52 222++ فاكس: 97 446 52 222++

المياه والحرب

يتناول هذا الكتاب القضايا الرئيسية الخاصة بالمياه والصرف الصحي في الدول التي تأثرت بالنزاعات حيث تعمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وهو يحلل التحديات، لجهة الممارسة العملية في هذا القطاع والتي تطورت وأصبحت أكثر احترافية بمرور السنين.

مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر 2008

يتمحور هذا العدد من المجلة الدولية حول موضوعين أساسيين هما العقاب وحقوق الإنسان. فهو يستعرض في مقالات معمقة فعالية العقوبات كوسيلة لتحقيق احترام أفضل للقانون الدولي الإنساني ونطاق الجزاءات التقليدية وإشكاليات توزع الاختصاصات بين السلطات الوطنية والدولية. كذلك يتناول «الحرب على الإرهاب» لجهة الدعاوى القضائية حول حقوق الإنسان والعلاقة بين القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان بالإضافة إلى موضوع العدالة الانتقالية.

الأطفال في الحرب

قد تكون آثار الحرب على صغار السن مدمرة. فخلال العام 2008 بلغ عدد الأطفال الذين أجبروا على الفرار من ديارهم كلاجئين عبروا الحدود أو كنازحين داخل بلدانهم 18 مليون طفل. يتناول هذا الكتيب المخاطر التي يتعرض لها الأطفال خلال النزاعات المسلحة. وكذلك الخطوات التي تتخذها اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتحديد احتياجاتهم الأساسية والمبادئ القانونية التي تحميهم.

الذخائر العنقودية

ظلت الذخائر العنقودية مشكلة مستمرة لعقود عدة. وقد قتلت أو جرحت هذه الأسلحة عشرات الآلاف من المدنيين في البلدان التي تضررت من الحروب. وقد اعتمدت أكثر من 100 دولة، في أيار/ مايو 2008، الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية التي تحظر استخدام مثل هذه الذخائر واستحداثها وإنتاجها وتخزينها ونقلها. كما طلبت إلى الدول الأطراف إتلاف مخزونها والتخلص من مخلفات الحرب ومساعدة الضحايا. ويقدم هذا المنشور لمحة عامة عن مشكلة الذخائر العنقودية وعن الأحكام الأساسية للاتفاقية والخطوات المطلوبة للوفاء بالتزاماتها.

دليل تدريب القضاة على أحكام القانون الدولي الإنساني

يهدف هذا الدليل، الذي أعده قسم الخدمات الاستشارية بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، إلى توفير أداة ومرجع سهل الاستخدام للقاضي المحاضر في مجال القانون الدولي الإنساني يمكنه من استرجاع كافة المعلومات الخاصة بهذا الموضوع بطريقة تساعد الجمهور المتلقي على استيعاب المحاضرة على النحو المطلوب. فضلا عن إمداده بنماذج من العديد من التمرينات العملية وكيفية إعداد أخرى على غرارها. كما أرفق الكتاب بأسطوانة مدمجة تحتوي على المعلومات التي يتعين على الجمهور الإلمام بها وعلى التمرينات العملية في هذا المجال.

المشاركة المباشرة في العمليات العدائية

أصدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعد ست سنوات من المناقشات والدراسات على مستوى الخبراء، «وثيقة تفسيرية» تهدف إلى توضيح مفهوم المشاركة المباشرة في العمليات العدائية وعواقبها بموجب القانون الدولي الإنساني.

AL-INSANI . 48 . Spring 2010
The Power of Gentle Hands

Contents

• **The Unknown Soldiers in the Service of Humanity**
Millions of volunteers are the true driving force behind the social services provided by NGOs around the world. This is also true for the International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies (IFRC) which celebrates World Red Cross and Red Crescent Day on 8 May of each year. On this occasion, five volunteers from Arab national organizations talk about the reasons behind their choice to work as volunteers and how they have been affected on a personal level by the experiences they have been through, some of which have changed their perspective on life.

• **Gauthier Freed after 147 Days:"I Leave with no Feelings of Animosity; the Real Victims Are Still there"** Interview by **Saleh Dabbakeh**, Communication Officer, ICRC Khartoum
After 147 days of being abducted a few kilometers north of El-Geneina, West Darfur, ICRC delegate Gauthier Lefèvre, recounts this experience and the effect it has had on him.

• **Psychological support programs for the children of Gaza and the West Bank: Scarring of the Soul is More Serious than Scarring of the Body** By **Jérôme Grimaud**, Psychosocial support delegate, Danish Red Cross.
The Palestine Red Crescent Society in Gaza and the West Bank is striving to help the children of Gaza and the West Bank to overcome the psychological wounds caused by the war and to help them lead a normal life.

Dossier

• **The Power of Gentle Hands**
In this special dossier, Al Insani attempts to shed light on the conflicting sides of women living in areas of conflict, and in particular those in the Middle East and North Africa; the vulnerable side, needing protection and the tough side, protecting those in her circle. Women are the weakest link in wars and they should be protected just as any civilians who end up in perilous environs. However, although women are considered by some to be physically weak, their mental and internal strength tends to come to the forefront during periods of distress, which often comes as a surprise to others. The power of these gentle hands is oftentimes what carries entire families to safety. The gentle hand that strokes the head of one child and wipes the tear of another is also capable of working hard and dealing with difficulties to protect loved ones. The true beauty of women lies in this mix between toughness and determination on the one hand and vulnerability and gentleness on the other.

• **Women and Displacement: the Power of Determination during Times of Hardship**
Today, displacement is one of the most serious outcomes of armed conflict. On International Women's Day, which coincided with 8 March 2010, the ICRC launched an awareness campaign on women displaced by armed conflicts worldwide.

• **Reservations Continue to Hamper CEDAW: Discrimination Against Women Still Prevalent** By **Amal Abdel Hadi**, Egyptian Women's rights Activist and a founding member of the "New Woman Foundation".
This article examines the implementation of the Convention on the Elimination of all Forms of Discrimination against Women (CEDAW) in the region and the obstacles it faces.

• **Discrimination against Female Prisoners: How to Ensure their Rights?** By **Badia Al-Koutit**, Specialist in economic, cultural and social rights and consultant on the rights of the incarcerated.
Female prisoners are suffering from poor conditions and marginalization of their needs due the fact that the penitentiary systems designed women's prisons after that of men's without taking into consideration the mental and physical differences between men and women.

• **Iraqi Women and War: After Losing Breadwinner, Women Head their Households**
By **Caroline Douillez-Saboba**, Director of the "Women and War" project, IQS
This article discusses the current situation of women in Iraq.

• **Shatha and Kawthar Put an End to Despair**
By **Sumaya Ali Al-Husseini**, "Women and War" project, ICRC Baghdad.
A story of two Iraqi women helped by the ICRC to launch a small business as a means to support them and their families.

• **Women Breaking Barriers**
The stories of nine Arab women who made an impact on their communities becoming role models to other women, despite the many social and cultural barriers that hinder women's activities in the communities of this region.

• **Three Sisters Change Sudanese Society's Perception of Female Singers**
Al Balabel: 40 years of Sudanese Entertainment By **Saleh Dabbakeh**, Communication Officer, ICRC Khartoum
There are few female bands in the Arab World, but the band known as Al Balabel (The Nightingales) has been entertaining the Sudanese public for the past 40 years and has delivered a lasting impression on the collective mind of its Sudanese audience.

• **The Fifth Arab Report on the National Implementation of International Humanitarian Law** By **Khaled Ghazi**, Assistant Regional Legal Advisor of the ICRC in MENA region.
This report is the fruit of ten years of collaboration between the ICRC and the Arab World. It was prepared by the ICRC Advisory Service on International Humanitarian Law in collaboration with the Legal Department of the League of Arab States.

• **Haiti: A humanitarian Crisis Kept Alive by Alternative Media** By **Zeinab Ghosn**.
In the aftermath of the powerful quake that shook Haiti on 12 January 2010, social media like Twitter and Facebook, played an active role in informing the world about the humanitarian crisis, and in the relief efforts to help the victims

• **Salah, "The News Bearer"** A portrait by **Zeinab Ghosn**

• **Baobab: The Tree of Life** By **Mohamed Al-Amin El-Nahas**, Sudanese Writer
This majestic tree with its characteristic appearance plays an important social, economic and cultural role in the lives of Africans and in particular in the lives of the Sudanese people.

• **Without Retouch:** Twenty Years Ago... By **Zeinab Ghosn**

• **Poetry:** Precious Shackles by Fadwa Tuqan (1917 - 2003)
One of the most important Palestinian poets of the twentieth century. Her poetry deals with themes of women falling in love, revolution and the protest of women against social mores.

• **Around the World**

Editorial

A Tribute to Women

For four days, Sawsan walked across the hills, all the while carrying her two-year old daughter, Zahraa, in one arm, and holding her four-year old daughter, Rofa, with her other hand, with her six-year old, Ahmad, tagging along. All she could think about was saving her children and getting them somewhere safe.

Just like many other women who experience war, displacement, fear and other hardships, Sawsan struggled for a decent life. She had to take on the role of both mother and father, and use all her strength and determination to prove that she actually existed, and that she had the right to receive equal treatment.

Working hard is nothing new to women, especially in our society. We have seen how, throughout history and in all walks of life, they leave their mark on the lives of their family members and everything around them. This is what led the French Emperor, Napoleon Bonaparte, to say, "Behind every great man, there is a woman".

However, women today are no longer satisfied with simply staying in the background. Over the years, the progress they have achieved, and what they still wish to achieve, has been a huge step towards their actualization, and has placed them at the forefront, proving that their role in society is as significant and valuable as that of men.

Nevertheless, in order to reinforce women's achievements, their communities and relevant organizations must support these efforts. Nor should we forget the importance of working for the protection of women living in areas of conflict, who are often forced to play a dual role in the absence of the husband or father. They also frequently find themselves responsible for the protection of their families, as well as for supporting their children and taking care of them, as is the case with thousands of women today in Iraq, Sudan and other countries.

As a tribute to women, and in celebration of International Women's Day, Al-Insani is dedicating this issue to the achievements women have made. These achievements reflect the significant cultural and intellectual contributions women have made to the Middle East and North Africa (MENA) region.

The articles and interviews included in this issue address the reality of women's lives, their struggle for basic rights, and some of the steps that still need to be taken in order to secure their role and status in their communities.

This issue of Al-Insani also celebrates World Red Cross and Red Crescent Day on May 8th, as a reminder of the exceptional role played by humanitarian workers. You can also read what some volunteers from regional national organizations have to say about their experiences with voluntary work, and what drives them to dedicate their time to help and save others in times of conflict and disaster. They also reveal the positive impact this work has had on their inner selves and on their lives.

"Al-Insani"